سلسلة تفسير القرآن
17

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء العشرون

ندقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء العشرون

سعومَةُ المعاعُون

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مَكِّيَّةٌ، ثَلَاثُ آيَاتٍ الْأُوَلُ،
مَدَنِيَّةٌ: الْبَقِيَّةُ، وَآيَاتُهَا سَبْعٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [التَّكَاثُرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1]

قُرِئَ: "أَرَيْتَ"، بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ، وَلَيْسَ بِالِاخْتِيَارِ، لِأَنَّ حَذْفَهَا مُخْتَصٌّ بِالْمُضَارِعِ، وَلَمْ يَصِحَّ عَنِ الْعَرَبِ: رَيْتَ، وَلَكِنَّ الَّذِي سَهَّلَ مِنْ أَمْرِهَا وُقُوعُ حَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ. وَنَحْوَهُ:

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَرَأَيْتَكَ" بِزِيَادَةِ حَرْفِ الْخِطَابِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[2]]الْإِسْرَاءِ: 62 .[

وَالْمَعْنَى: هَلْ عَرَفْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ مَنْ هُوَ؟ إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي﴾[3] يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ، هُوَ الَّذِي ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[4]، أَيْ: يَدْفَعُهُ دَفْعًا عَنِيفًا بِجَفْوَةٍ وَأَذًى، وَبِرَدِّهِ

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .

رَدًّا قَبِيحًا بِزَجْرٍ وَخُشُونَةٍ. وَقُرِئَ: يَدَعُ، أَيْ: يَتْرُكُ وَيَجْفُو.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾[1]: وَلَا يَبْعَثُ أَهْلَهُ عَلَى بَذْلِ طَعَامِ الْمِسْكِينِ، جَعَلَ عَلَمَ التَّكْذِيبِ بِالْجَزَاءِ مَنْعَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِقْدَامَ عَلَى إِيذَاءِ الضَّعِيفِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالْجَزَاءِ وَأَيْقَنَ بِالْوَعِيدِ، لَخَشِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَعِقَابَهُ وَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَحِينَ أَقْدَمَ عَلَيْهِ: عَلَى أَنَّهُ مُكَذِّبٌ، فَمَا أَشَدَّهُ مِنْ كَلَامٍ، وَأَمَّا أَخْوَفَهُ مِنْ مَقَامٍ.

وَمَا أَبْلَغَهُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَرَخَاوَةِ عَقْدِ الْيَقِينِ، ثُمَّ وَصَلَ بِهِ قَوْلَهُ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[2] كَأَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ يَسْهُونَ عَنِ الصَّلَاةِ قِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِهَا، حَتَّى تَفُوتَهُمْ أَوْ يَخْرُجَ وَقْتُهَا، أَوْ لَا يُصَلُّونَهَا كَمَا صَلَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالسَّلَفُ وَلَكِنْ يَنْقُرُونَهَا نَقْرًا مِنْ غَيْرِ خُشُوعٍ وَإِخْبَاتٍ وَلَا اجْتِنَابٍ لِمَا يُكْرَهُ فِيهَا: مِنَ الْعَبَثِ بِاللِّحْيَةِ وَالثِّيَابِ وَكَثْرَةِ التَّثَاؤُبِ وَالِالْتِفَاتِ، لَا يَدْرِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ كَمِ انْصَرَفَ، وَلَا مَا قَرَأَ مِنَ السُّوَرِ، كَمَا تَرَى صَلَاةَ أَكْثَرِ مَنْ تَرَى الَّذِينَ عَادَتْهُمُ الرِّيَاءُ بِأَعْمَالِهِمْ وَمَنْعُ حُقُوقِ أَمْوَالِهِمْ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ سَهْوُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ –الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ، وَالْفَارِقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ شُعْبَةٌ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَنْعُ الزَّكَاةِ الَّتِي هِيَ شَقِيقَةُ الصَّلَاةِ وَقَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ– عِلْمًا عَلَى أَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ. وَكَمْ تَرَى مِنَ الْمُتَسَمِّينَ بِالْإِسْلَامِ، بَلْ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَيَا مُصِيبَتَاهْ. وَطَرِيقَةٌ أُخْرَى: أَنْ يَكُونَ "فَذَلِكَ" عَطْفًا "الَّذِي يُكَذِّبُ" إِمَّا عَطْفَ ذَاتٍ عَلَى ذَاتٍ، وَصِفَةٍ عَلَى صِفَةٍ، وَيَكُونُ جَوَابُ "أَرَأَيْتَ" مَحْذُوفًا لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَخْبِرْنِي، وَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ؟ وَفِيمَنْ يُؤْذِي الْيَتِيمَ وَلَا يُطْعِمُ الْمِسْكِينَ؟ أَنِعْمَ مَا يَصْنَعُ؟

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[3]، أَيْ: إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ مُسِيءٌ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، عَلَى مَعْنَى: فَوَيْلٌ لَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ صِفَتَهُمْ مَوْضِعَ ضَمِيرِهِمْ، لِأَنَّهُمْ مَعَ التَّكْذِيبِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِمْ سَاهُونَ عَنِ الصَّلَاةِ مُرَائِينَ، غَيْرُ مُزَكِّينَ أَمْوَالَهُمْ. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جُعِلَتِ "الْمُصَلِّينَ" قَائِمًا مُقَامَ ضَمِيرِ الَّذِي يُكَذِّبُ، وَهُوَ وَاحِدٌ؟ قُلْتُ: مَعْنَاهُ الْجَمْعُ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْجِنْسُ.

---

[4] سورة ، الآية .

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿عَنْ صَلاتِهِمْ﴾[1] وَبَيْنَ قَوْلِكَ: "فِي صَلَاتِهِمْ"؟ قُلْتُ: مَعْنَى: "عَنْ": أَنَّهُمْ سَاهُونَ عَنْهَا سَهْوَ تَرْكٍ لَهَا وَقِلَّةِ الْتِفَاتٍ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ فِعْلُ الْمُنَافِقِينَ أَوِ الْفَسَقَةِ الشُّطَّارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَمَعْنَى "فِي": أَنَّ السَّهْوَ يَعْتَرِيهِمْ فِيهَا بِوَسْوَسَةِ شَيْطَانٍ أَوْ حَدِيثِ نَفْسٍ، وَذَلِكَ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقَعُ لَهُ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ، وَمِنْ ثَمَّ أَثْبَتَ الْفُقَهَاءُ بَابَ سُجُودِ السَّهْوِ فِي كُتُبِهِمْ.

وَعَنْ أَنَسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ لَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَاهُونَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْمُرَآةُ؟ قُلْتُ: هِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْإِرَاءَةِ، لِأَنَّ الْمُرَائِيَ يُرِي النَّاسَ عَمَلَهُ، وَهُمْ يُرُونَهُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالْإِعْجَابَ بِهِ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُرَائِيًا بِإِظْهَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِنْ كَانَ فَرِيضَةً، فَمِنْ حَقِّ الْفَرَائِضِ الْإِعْلَانُ بِهَا وَتَشْهِيرُهَا، لِقَوْلِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ، لِأَنَّهَا أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ وَشَعَائِرُ الدِّينِ، وَلِأَنَّ تَارِكَهَا يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ وَالْمَقْتَ، فَوَجَبَ إِمَاطَةُ التُّهْمَةِ بِالْإِظْهَارِ، وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعًا، فَحَقُّهُ أَنْ يُخْفَى؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يُلَامُ بِتَرْكِهِ وَلَا تُهْمَةَ فِيهِ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ قَاصِدًا لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ كَانَ جَمِيلًا، وَإِنَّمَا الرِّيَاءُ أَنْ يَقْصِدَ بِالْإِظْهَارِ أَنْ تَرَاهُ الْأَعْيُنُ، فَيُثْنَى عَلَيْهِ بِالصَّلَاحِ. وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي الْمَسْجِدِ قَدْ سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ وَأَطَالَهَا، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا لَوْ كَانَ فِي بَيْتِكَ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ تَوَسَّمَ فِيهِ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ، عَلَى أَنَّ اجْتِنَابَ الرِّيَاءِ صَعْبٌ إِلَّا عَلَى الْمُرْتَاضِينَ بِالْإِخْلَاصِ.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الرِّيَاءُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ عَلَى الْمَسْحِ الْأَسْوَدِ".

"الْمَاعُونُ": الزَّكَاةُ.

قَالَ الرَّاعِي:

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: مَا يُتَعَاوَرُ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْفَأْسِ وَالْقِدْرِ وَالدَّلْوِ وَالْمِقْدَحَةِ وَنَحْوِهَا.

وَعَنْ عَائِشَةَ: الْمَاءُ وَالنَّارُ وَالْمِلْحُ، وَقَدْ يَكُونُ مَنْعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَحْظُورًا فِي الشَّرِيعَةِ إِذَا اسْتُعِيرَتْ عَنِ اضْطِرَارٍ، وَقَبِيحًا فِي الْمُرُوءَةِ فِي غَيْرِ حَالِ الضَّرُورَةِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [أَرَأَيْتَ] غَفَرَ اللَّهُ لَهُ إِنْ كَانَ لِلزَّكَاةِ مُؤَدِّيًا".

---

[1] سورة ، الآية .

سورة التوبة

سورة الكوثر

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ.
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْعَادِيَاتِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[1]

فِي قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ، بِالنُّونِ". وَفِي حَدِيثِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وَانْطُوا الثَّبَجَةَ". وَالْكَوْثَرُ فَوَعْلٌ مِنَ الْكَثْرَةِ، وَهُوَ الْمُفْرِطُ الْكَثْرَةِ. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ رَجَعَ ابْنُهَا مِنَ السَّفَرِ: بِمَ آبَ ابْنُكِ؟ قَالَتْ: آبَ بِكَوْثَرٍ.

وَقَالَ:

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وَكَانَ أَبُوكَ ابْنُ الْعَقَائِلِ كَوْثَرَا

وَقِيلَ: "الْكَوْثَرُ" نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَّهُ قَرَأَهَا حِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ إِنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّي، فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ".

وَرُوِيَ فِي صِفَتِهِ: "أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، حَافَّتَاهُ الزَّبَرْجَدُ، وَأَوَانِيهِ مِنْ فِضَّةٍ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ".

---

[1] سورة ، الآية .

وَرُوِيَ: "لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ أَبَدًا: أَوَّلُ وَارِدِيهِ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ: الدَّنِسُو الثِّيَابِ، الشُّعْثُ الرُّؤُوسِ، الَّذِينَ لَا يُزَوَّجُونَ الْمُنَعَّمَاتِ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدَدِ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ تَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَ الْكَوْثَرَ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ! فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ. وَالنَّحْرُ: نَحْرُ الْبُدْنِ، وَعَنْ عَطِيَّةَ: هِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ بِجَمْعٍ، وَالنَّحْرُ بِمِنًى. وَقِيلَ: صَلَاةُ الْعِيدِ وَالتَّضْحِيَةُ.

وَقِيلَ: هِيَ جِنْسُ الصَّلَاةِ. وَالنَّحْرُ: وَضْعُ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ، وَالْمَعْنَى: أُعْطِيتُ مَا لَا غَايَةَ لِكَثْرَتِهِ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ غَيْرَكَ، وَمُعْطِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَا إِلَهُ الْعَالَمِينَ، فَاجْتَمَعَتْ لَكَ الْغِبْطَتَانِ السَّنِيَّتَانِ: إِصَابَةُ أَشْرَفِ عَطَاءٍ، وَأَوْفَرِهِ، مِنْ أَكْرَمِ مُعْطٍ وَأَعْظَمِ مُنْعِمٍ، فَاعْبُدْ رَبَّكَ الَّذِي أَعَزَّكَ بِإِعْطَائِهِ، وَشَرَّفَكَ وَصَانَكَ مِنْ مِنَنِ الْخَلْقِ، مُرَاغِمًا لِقَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَانْحَرْ لِوَجْهِهِ وَبِاسْمِهِ إِذَا نَحَرْتَ، مُخَالِفًا لَهُمْ فِي النَّحْرِ لِلْأَوْثَانِ.

﴿إِنَّ﴾[1] مَنْ أَبْغَضَكَ مِنْ قَوْمِكَ لِمُخَالَفَتِكَ لَهُمْ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2] لَا أَنْتَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يُولَدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ أَوْلَادُكَ وَأَعْقَابُكَ، وَذِكْرُكَ مَرْفُوعٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْمَنَارِ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ عَالِمٍ وَذَاكِرٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، يَبْدَأُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَيُثَنِّي بِذِكْرِكَ، وَلَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَصْفِ، فَمِثْلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ أَبْتَرُ: وَإِنَّمَا الْأَبْتَرُ هُوَ شَانِئُكَ الْمَنْسِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ ذُكِرَ ذُكِرَ بِاللَّعْنِ. وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صُنْبُورٌ: إِذَا مَاتَ مَاتَ ذِكْرُهُ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَقَدْ سَمَّاهُ الْأَبْتَرَ، وَالْأَبْتَرُ: الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ. وَمِنْهُ الْحِمَارُ الْأَبْتَرُ الَّذِي لَا ذَنَبَ لَهُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَوْثَرِ سَقَاهُ اللَّهُ مَنْ كُلِّ نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَيَكْتُبُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ قُرْبَانٍ قَرَّبَهُ الْعِبَادُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ أَوْ يُقَرِّبُونَهُ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

سومة الثانوية

سورة الماعون

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْمَاعُونِ]
وَيُقَالُ لَهَا وَلِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ: الْمُقَشْقِشَتَانِ، أَيِ: الْمُبْرِئَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1]

الْمُخَاطَبُونَ كَفَرَةٌ مَخْصُوصُونَ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

رُوِيَ أَنَّ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَنَتَّبِعْ دِينَكَ: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَقَالَ: "مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ"، فَقَالُوا: فَاسْتَلِمْ بَعْضَ آلِهَتِنَا نُصَدِّقْكَ وَنَعْبُدْ إِلَهَكَ. فَنَزَلَتْ، فَغَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِيهِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ. فَأَيِسُوا.

﴿لا أَعْبُدُ﴾[2] أُرِيدَتْ بِهِ الْعِبَادَةُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ، لِأَنَّ "لَا" لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ فِي مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ، كَمَا أَنَّ "مَا" لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ فِي مَعْنَى الْحَالِ، أَلَا تَرَى أَنَّ "لَنْ" تَأْكِيدٌ فِيمَا

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

تَنْفِيهِ "لَا". وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي "لَنْ": أَنَّ أَصْلَهُ "لَا أَنْ" وَالْمَعْنَى: لَا أَفْعَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنِّي مِنْ عِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ فِيهِ مَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهِي.

﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾[1]، أَيْ: وَمَا كُنْتُ قَطُّ عَابِدًا فِيمَا سَلَفَ مَا عَبَدْتُمْ فِيهِ، يَعْنِي: لَمْ تُعْهَدْ مِنِّي عِبَادَةُ صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ تُرَجَّى مِنِّي فِي الْإِسْلَامِ.

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[2]، أَيْ: وَمَا عَبَدْتُمْ فِي وَقْتٍ مَا أَنَا عَلَى عِبَادَتِهِ. فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِيلَ: مَا عَبَدْتُ، كَمَا قِيلَ: مَا عَبَدْتُمْ؟ قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْبُدُ اللَّهَ –تَعَالَى– فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ جَاءَ عَلَى "مَا" دُونَ "مِنْ"؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الْمُرَادَ الصِّفَةُ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَعْبُدُ الْبَاطِلَ، وَلَا تَعْبُدُونَ الْحَقَّ. وَقِيلَ: إِنَّ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ: لَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، وَلَا تَعْبُدُونَ عِبَادَتِي .

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[3]: لَكُمْ شِرْكُكُمْ، وَلِي تَوْحِيدِي. وَالْمَعْنَى: أَنِّي نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ إِلَيْكُمْ لِأَدْعُوَكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالنَّجَاةِ، فَإِذَا لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي وَلَمْ تَتْبَعُونِي، فَدَعُونِي كَفَافًا وَلَا تَدْعُونِي إِلَى الشِّرْكِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْكَافِرُونَ] فَكَأَنَّمَا قَرَأَ رُبْعَ الْقُرْآنِ وَتَبَاعَدَتْ مِنْهُ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَبَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ وَيُعَافَى مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

سورة النور

سُورَةُ النَّصْرِ

نَزَلَتْ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَتُعَدُّ مَدَنِيَّةً،
وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ السُّوَرِ،
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ نَزَلَتْ بَعْدَ [التَّوْبَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1]

﴿إِذَا جَاءَ﴾[2] مَنْصُوبٌ بِسَبِّحْ، وَهُوَ لِمَا يُسْتَقْبَلُ. وَالْإِعْلَامُ بِذَلِكَ قَبْلَ كَوْنِهِ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ. رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ حَتَّى عُطِفَ عَلَيْهِ؟ قُلْتُ: النَّصْرُ الْإِغَاثَةُ وَالْإِظْهَارُ عَلَى الْعَدُوِّ. وَمِنْهُ: نَصَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ غَاثَهَا. وَالْفَتْحُ: فَتْحُ الْبِلَادِ، وَالْمَعْنَى نَصْرُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الْعَرَبِ أَوْ عَلَى قُرَيْشٍ وَفَتْحُ مَكَّةَ.

وَقِيلَ: جِنْسُ نَصْرِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفَتْحُ بِلَادِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَشَرَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَطَوَائِفِالْعَرَبِ، وَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ ، وَحِينَ دَخَلَهَا وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا؛ أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْكَنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنْوَةً، وَكَانُوا لَهُ فَيْئًا، فَلِذَلِكَ سَمَّى أَهْلَ مَكَّةَ الطُّلَقَاءَ، ثُمَّ بَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾[1] فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا دِينَ لَهُ يُضَافُ إِلَيْهِ غَيْرُهَا؛ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]] آل عِمْرَانَ: 85]. "أَفْوَاجًا" جَمَاعَاتٍ كَثِيفَةً كَانَتْ تَدْخُلُ فِيهِ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا بَعْدَ مَا كَانُوا يَدْخُلُونَ فِيهِ وَاحِدًا وَاحِدًا وَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُ بَكَى ذَاتَ يَوْمٍ، فَقِيلَ لَهُ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا". وَقِيلَ: أَرَادَ بِالنَّاسِ أَهْلَ الْيَمَنِ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ: قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ". وَقَالَ: "أَجِدُ نَفِيرَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ".

وَعَنِ الْحَسَنِ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَكَّةَ أَقْبَلَتِ الْعَرَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: أَمَّا إِذْ ظَفِرَ بِأَهْلِ الْحَرَمِ فَلَيْسَ بِهِ يَدَانِ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَجَارَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَعَنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَهُمْ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتْحُ اللَّهِ وَالنَّصْرُ. وَقُرِئَ: "يُدْخَلُونَ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ يَدْخُلُونَ؟ قُلْتُ: النَّصْبُ إِمَّا عَلَى الْحَالِ، عَلَى أَنَّ رَأَيْتَ بِمَعْنَى أَبْصَرْتَ أَوْ عَرَفْتَ. أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ ثَانٍ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى عَلِمْتَ .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[3]: فَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ: حَامِدًا لَهُ، أَيْ: فَتَعَجَّبْ لِتَيْسِيرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِكَ وَبَالِ أَحَدٍ مِنْ أَنْ يَغْلِبَ أَحَدٌ عَلَى أَهْلِ الْحَرَمِ، وَاحْمَدْهُ عَلَى صُنْعِهِ. أَوْ:

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

فَاذْكُرْهُ مُسَبِّحًا حَامِدًا، زِيَادَةً فِي عِبَادَتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، لِزِيَادَةِ إِنْعَامِهِ عَلَيْكَ. أَوْ فَصَلِّ لَهُ.

رَوَتْ أُمُّ هَانِئٍ: أَنَّهُ لَمَّا فُتِحَ بَابُ الْكَعْبَةِ صَلَّى صَلَاةَ الضُّحَى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ :كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُكْثِرُ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ يَقُولَ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، وَالْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ مَعَ التَّسْبِيحِ تَكْمِيلٌ لِلْأَمْرِ بِمَا هُوَ قِوَامُ أَمْرِ الدِّينِ: مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالِاحْتِرَاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، لِيَكُونَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لُطْفًا لِأُمَّتِهِ، وَلِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ مِنَ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَهَضْمِ النَّفْسِ، فَهُوَ عِبَادَةٌ فِي نَفْسِهِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ".

وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَصْحَابِهِ اسْتَبْشَرُوا وَبَكَى الْعَبَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا يُبْكِيكَ يَا عَمِّ"؟ قَالَ: نُعِيَتْ إِلَيْكَ نَفْسُكَ. قَالَ: "إِنَّهَا لَكَمَا تَقُولُ" فَعَاشَ بَعْدَهَا سَنَتَيْنِ لَمْ يُرَ فِيهِمَا ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا، وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا كَثِيرًا".

وَرُوِيَ: أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لِقَائِهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ، فَعَلِمَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَقَالَ: فَدِينَاكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَآبَائِنَا وَأَوْلَادِنَا".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- كَانَ يُدْنِيهِ وَيَأْذَنُ لَهُ مَعَ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَأْذَنُ لِهَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَفِي آبَائِنَا مَنْ هُوَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَذِنَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَأَذِنَ لِي مَعَهُمْ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾[1] وَلَا أُرَاهُ سَأَلَهُمْ إِلَّا مِنْ أَجْلِي، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ إِذَا فَتَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَهُ وَيَتُوبَ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَقَالَ عُمَرُ :مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مِثْلَ مَا تَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَلُومُونَنِي عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَرَوْنَ؟

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَنَّهُ دَعَا فَاطِمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقَالَ: "يَا بِنْتَاهُ، إِنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي"، فَبَكَتْ، فَقَالَ: "لَا تَبْكِي، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي".

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تُسَمَّى سُورَةَ التَّوْدِيعِ.

---

[1] سورة ، الآية .

"كَانَ تَوَّابًا" أَيْ: كَانَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ مُنْذُ خَلَقَ الْمُكَلَّفِينَ تَوَّابًا عَلَيْهِمْ إِذَا اسْتَغْفَرُوا، فَعَلَى كُلِّ مُسْتَغْفِرٍ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِثْلَ ذَلِكَ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ شَهِدَ مَعَ مُحَمَّدٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ".

سَوءَةُ الْمَهْ

سُورَةُ المَسَدِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسٌ.
نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[1]

التَّبَابُ: الْهَلَاكُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَشَابَّةٌ أَمْ تَابَّةٌ، أَيْ: هَالِكَةٌ مِنَ الْهَرَمِ وَالتَّعْجِيزِ. وَالْمَعْنَى: هَلَكَتْ يَدَاهُ، لِأَنَّهُ فِيمَا يُرْوَى: أَخَذَ حَجَرًا لِيَرْمِيَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿وَتَبَّ﴾[2] وَهَلَكَ كُلُّهُ. أَوْ جُعِلَتْ يَدَاهُ هَالِكَتَيْنِ. وَالْمُرَادُ: هَلَاكُ جُمْلَتِهِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[3]]الْحَجِّ: 10]. وَمَعْنَى: "وَتَبَّ": وَكَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ، كَقَوْلِهِ:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَقَدْ تَبَّ".

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .

وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1]]الشُّعَرَاءِ: 214]. رَقَى الصَّفَا وَقَالَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَاسْتَجْمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ. فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فِهْرٍ، إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ خَيْلًا أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَنَّاهُ، وَالتَّكْنِيَةُ تَكْرِمَةٌ؟ قُلْتُ: فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ، أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ مُشْتَهِرًا بِالْكُنْيَةِ دُونَ الِاسْمِ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مَعْرُوفًا بِأَحَدِهِمَا، وَلِذَلِكَ تَجْرِي الْكُنْيَةُ عَلَى الِاسْمِ، أَوِ الِاسْمُ عَلَى الْكُنْيَةِ عَطْفَ بَيَانٍ، فَلَمَّا أُرِيدَ تَشْهِيرُهُ بِدَعْوَةِ السُّوءِ، وَأَنْ تَبْقَى سِمَةً لَهُ، ذُكِرَ الْأَشْهَرُ مِنْ عَلَمَيْهِ. وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: "يَدًا أَبُو لَهَبٍ"، كَمَا قِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبُو طَالِبٍ .وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبُو سُفْيَانَ، لِئَلَّا يُغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُشْكِلَ عَلَى السَّامِعِ، وَلِفُلَيْتَةَ بْنِ قَاسِمٍ أَمِيرِ مَكَّةَ ابْنَانِ:

– أَحَدُهُمَا: عَبْدُ اللَّهِ بِالْجَرِّ، وَالْآخَرُ عَبْدُ اللَّهَ بِالنَّصْبِ. كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدِ اللَّهِ بِجَرَّةِ الدَّالِ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا هَكَذَا.

– وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْعُزَّى، فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى كُنْيَتِهِ.

– وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَمَآلُهُ إِلَى نَارٍ ذَاتِ لَهَبٍ، وَافَقَتْ حَالُهُ كُنْيَتَهُ، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُذْكَرَ بِهَا. وَيُقَالُ: أَبُو لَهَبٍ ، كَمَا يُقَالُ: أَبُو الشَّرِّ لِلشِّرِّيرِ. وَأَبُو الْخَيْرِ لِلْخَيِّرِ، وَكَمَا كَنَّى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَبَا الْمُهَلَّبِ: أَبَا صُفْرَةَ، بِصُفْرَةٍ فِي وَجْهِهِ.

وَقِيلَ: كُنِّيَ بِذَلِكَ لِتَلَهُّبِ وَجْنَتَيْهِ وَإِشْرَاقِهِمَا، فَيَجُوزُ أَنْ يُذْكَرَ بِذَلِكَ تَهَكُّمًا بِهِ، وَبِافْتِخَارِهِ بِذَلِكَ. وَقُرِئَ: أَبِي لَهْبٍ بِالسُّكُونِ. وَهُوَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَعْلَامِ، كَقَوْلِهِمْ: شُمْسُ بْنُ مَالِكٍ بِالضَّمِّ.

﴿مَا أَغْنَى﴾[2]: اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ، وَمَحَلُّهُ النَّصْبُ أَوْ نَفْيٌ.

﴿ وَمَا كَسَبَ﴾[3] مَرْفُوعٌ. وَمَا مَوْصُولَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ بِمَعْنَى: وَمَكْسُوبُهُ. أَوْ: وَكَسْبُهُ. وَالْمَعْنَى: لَمْ يَنْفَعْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ بِمَالِهِ، يَعْنِي: رَأْسَ الْمَالِ وَالْأَرْبَاحَ. أَوْ مَاشِيَتَهُ وَمَا كَسَبَ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

مِنْ نَسْلِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَكَانَ ذَا سَابْيَاءَ. أَوْ مَالُهُ الَّذِي وَرِثَهُ مِنْ أَبِيهِ وَالَّذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ. أَوْ مَالُهُ التَّالِدُ وَالطَّارِفُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا كَسَبَ وَلَدُهُ. وَحُكِيَ أَنَّ بَنِي أَبِي لَهَبٍ احْتَكَمُوا إِلَيْهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَقَامَ يَحْجِزُ بَيْنَهُمْ، فَدَفَعَهُ بَعْضُهُمْ فَوَقَعَ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَخْرِجُوا عَنِّي الْكَسْبَ الْخَبِيثَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "إِنَّ أَطْيَبَ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ".

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: مَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ وَعَمَلُهُ الْخَبِيثُ، يَعْنِي كَيْدَهُ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَعَنْ قَتَادَةَ: عَمَلُهُ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾[1]]الْفُرْقَانِ: 233]. وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا فَأَنَا أَفْتَدِي مِنْهُ نَفْسِي بِمَالِي وَوَلَدِي .

﴿سَيَصْلَى﴾[2] قُرِئَ: بِفَتْحِ الْيَاءِ وَبِضَمِّهَا مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا، وَالسِّينُ لِلْوَعِيدِ، أَيْ: هُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ تَرَاخَى وَقْتُهُ.

﴿وَامْرَأَتُهُ﴾[3] هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةً مِنَ الشَّوْكِ وَالْحَسَكِ وَالسَّعْدَانِ فَتَنْثُرُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَقِيلَ: كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. وَيُقَالُ: لِلْمَشَّاءِ بِالنَّمَائِمِ الْمُفْسِدِ بَيْنَ النَّاسِ: يَحْمِلُ الْحَطَبَ بَيْنَهُمْ، أَيْ: يُوقِدُ بَيْنَهُمُ النَّائِرَةَ وَيُورِثُ الشَّرَّ.

قَالَ:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَةٍ وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ

جَعَلَهُ رَطْبًا لِيَدُلَّ عَلَى التَّدْخِينِ الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي الشَّرِّ، وَرُفِعَتْ عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي ﴿سَيَصْلَى﴾[4]، أَيْ: سَيَصْلَى هُوَ وَامْرَأَتُهُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَ "فِي جِيدِهَا" فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَوْ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَفِي جِيدِهَا: الْخَبَرُ. وَقُرِئَ: حَمَّالَةَ الْحَطَبِ بِالنَّصْبِ عَلَى الشَّتْمِ، وَأَنَا أَسْتَحِبُّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، وَقَدْ تَوَسَّلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِجَمِيلٍ: مَنْ أَحَبَّ شَتْمَ أُمِّ جَمِيلٍ. وَقُرِئَ: حَمَّالَةَ الْحَطَبِ وَحَمَّالَةً لِلْحَطَبِ: بِالتَّنْوِينِ، وَالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ. وَقُرِئَ: وَمُرَيَّتُهُ بِالتَّصْغِيرِ.

الْمَسَدُ: الَّذِي فُتِلَ مِنَ الْحِبَالِ فَتْلًا شَدِيدًا، مِنْ لِيفٍ كَانَ أَوْ جِلْدٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا.

قَالَ:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِـــــقِ

وَرَجُلٌ مَمْسُودُ الْخَلْقِ مَجْدُولُهُ.

وَالْمَعْنَى: فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِمَّا مُسِّدَ مِنَ الْحِبَالِ، وَأَنَّهَا تَحْمِلُ تِلْكَ الْحُزْمَةَ مِنَ الشَّوْكِ وَتَرْبُطُهَا فِي جِيدِهَا كَمَا يَفْعَلُ الْحَطَّابُونَ: تَخْسِيسًا لِحَالِهَا، وَتَحْقِيرًا لَهَا، وَتَصْوِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْحَطَّابَاتِ مِنَ الْمَوَاهِنِ، لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا، وَهُمَا فِي بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ. وَفِي مَنْصِبِ الثَّرْوَةِ وَالْجِدَّةِ.

وَلَقَدْ عَيَّرَ بَعْضُ النَّاسِ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ بِحَمَّالَةِ الْحَطَبِ، فَقَالَ:

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَمْ مَا تُغَيَّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَـــبِ؟
غَرَّاءَ شَادِخَةٍ فِي الْمَجْدِ غُرَّتُهَـــا كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَبِ

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّ حَالَهَا تَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حِينَ كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةَ الشَّوْكِ، فَلَا تَزَالُ عَلَى ظَهْرِهَا حُزْمَةٌ مِنْ حَطَبِ النَّارِ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ أَوْ مِنَ الضَّرِيعِ وَفِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَا مُسِّدَ مِنْ سَلَاسِلِ النَّارِ، كَمَا يُعَذَّبُ كُلُّ مُجْرِمٍ بِمَا يُجَانِسُ حَالَهُ فِي جُرْمِهِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ تَبَّتْ رَجَوْتُ أَنْ لَا يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي لَهَبٍ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ".

سورة الزخرف

سورة الإخلاص

مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [النَّاسِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1]

﴿هُوَ﴾[2] ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] هُوَ الشَّأْنُ، كَقَوْلِكَ: هُوَ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: الشَّأْنُ هَذَا، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا ثَانِيَ لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ هُوَ؟ قُلْتُ: الرَّفْعُ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ الْجُمْلَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَالْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ خَبَرًا لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ رَاجِعٍ إِلَى الْمُبْتَدَإِ، فَأَيْنَ الرَّاجِعُ؟ قُلْتُ: حُكْمُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ حُكْمُ الْمُفْرَدِ فِي قَوْلِكَ: "زَيْدٌ غُلَامُكَ" فِي أَنَّهُ هُوَ الْمُبْتَدَأُ فِي الْمَعْنَى، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4] هُوَ الشَّأْنُ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ "زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ" فَإِنَّ زَيْدًا وَالْجُمْلَةَ يَدُلَّانِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَلَا بُدَّ مِمَّا يَصِلُ بَيْنَهُمَا.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدُ ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: يَعْنِي: الَّذِي سَأَلْتُمُونِي وَصْفَهُ هُوَ اللَّهُ، أَحَدٌ: بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ، ﴿اللَّهُ﴾[1]. أَوْ عَلَى: هُوَ أَحَدٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَأَصْلُهُ وَحَدَ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ وَأُبَيٌّ: "هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" بِغَيْرِ "قُلْ" وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُ أَحَدٌ" بِغَيْرِ "قُلْ هُوَ" وَقَالَ مَنْ قَرَأَ: اللَّهُ أَحَدٌ، كَانَ بِعَدْلِ الْقُرْآنِ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ". وَقُرِئَ: "أَحَدُ اللَّهُ" بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، أُسْقِطَ لِمُلَاقَاتِهِ لَامَ التَّعْرِيفِ.

وَنَحْوَهُ:

.....وَلَا ذَاكِرَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

وَالْجَيِّدُ هُوَ التَّنْوِينُ، وَكَسْرُهُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.

وَ﴿الصَّمَدُ﴾[2]: فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِنْ صَمَدَ إِلَيْهِ إِذَا قَصَدَهُ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ. وَالْمَعْنَى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَتُقِرُّونَ بِأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُكُمْ، وَهُوَ وَاحِدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْإِلَهِيَّةِ لَا يُشَارَكُ فِيهَا، وَهُوَ الَّذِي يَصْمُدُ إِلَيْهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾[3]، لِأَنَّهُ لَا يُجَانِسُ، حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْ جِنْسِهِ صَاحِبَةٌ فَيَتَوَالَدَا. وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[4]]الْأَنْعَامِ: 101 .[

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[5]، لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ مُحْدَثٌ وَجِسْمٌ، وَهُوَ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ وَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَمْ يُكَافِئْهُ أَحَدٌ، أَيْ: لَمْ يُمَاثِلْهُ وَلَمْ يُشَاكِلْهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَفَاءَةِ فِي النِّكَاحِ، نَفْيًا لِلصَّاحِبَةِ: سَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَهُ لَهُمْ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا يُحْتَوَى عَلَى صِفَاتِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾[6] إِشَارَةٌ لَهُمْ إِلَى مَنْ هُوَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَفَاطِرُهَا، وَفِي طَيِّ ذَلِكَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ قَادِرٌ عَالِمٌ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يَسْتَدْعِي الْقُدْرَةَ وَالْعِلْمَ، لِكَوْنِهِ وَاقِعًا عَلَى غَايَةِ إِحْكَامٍ وَاتِّسَاقٍ وَانْتِظَامٍ. وَفِي ذَلِكَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَدٌ﴾[1]: وَصْفٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ الشُّرَكَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الصَّمَدُ﴾[2]: وَصْفٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُحْتَاجًا إِلَيْهِ: فَهُوَ غَنِيٌّ. وَفِي كَوْنِهِ غَنِيًّا مَعَ كَوْنِهِ عَالِمًا: أَنَّهُ عَدْلٌ غَيْرُ فَاعِلٍ لِلْقَبَائِحِ، لِعِلْمِهِ بِقُبْحِ الْقَبِيحِ وَعِلْمِهِ بِغِنَاهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[3]: وَصْفٌ بِالْقِدَمِ وَالْأَوَّلِيَّةِ. وَقَوْلُهُ: "لَمْ يَلِدْ" نَفْيٌ لِلشَّبَهِ وَالْمُجَانَسَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4]: تَقْرِيرٌ لِذَلِكَ وَبَتٌّ لِلْحُكْمِ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ الْفَصِيحُ أَنْ يُؤَخَّرَ الظَّرْفُ الَّذِي هُوَ لَغْوٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ وَلَا يُقَدَّمُ، وَقَدْ نَصَّ سِيبَوَيْهِ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَمَا بَالُهُ مُقَدَّمًا فِي أَفْصَحِ كَلَامٍ وَأَعْرَبِهِ؟ قُلْتُ: هَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا سِيقَ لِنَفْيِ الْمُكَافَأَةِ عَنْ ذَاتِ الْبَارِي -سُبْحَانَهُ-، وَهَذَا الْمَعْنَى مَصَبُّهُ وَمَرْكَزُهُ هُوَ هَذَا الظَّرْفُ، فَكَانَ لِذَلِكَ أَهَمَّ شَيْءٍ وَأَعْنَاهُ، وَأَحَقَّهُ بِالتَّقَدُّمِ وَأَجْرَاهُ. وَقُرِئَ: "كُفُؤًا" بِضَمِّ الْكَافِ وَالْفَاءِ. وَبِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِهَا مَعَ سُكُونِ الْفَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عِدْلَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ عَلَى قِصَرٍ مِنْهَا وَتَقَارُبِ طَرَفَيْهَا؟ قُلْتُ: لِأَمْرٍ مَا يَسُودُ مَنْ يَسُودُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاحْتِوَائِهَا عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَعَدْلِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَكَفَى دَلِيلًا مِنَ اعْتِرَافٍ بِفَضْلِهَا وَصِدْقٍ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهَا: إِنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- بِمَكَانٍ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَالْعِلْمُ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ: يَشْرُفُ بِشَرَفِهِ، وَيَتَّضِعُ بِضِعَتِهِ، وَمَعْلُومٌ هَذَا الْعِلْمُ هُوَ اللَّهُ -تَعَالَى- وَصِفَاتُهُ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ وَجَلَالَةِ مَحَلِّهِ، وَإِنَافَتِهِ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ، وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى قَصَبِ السَّبْقِ دُونَهُ، وَمَنِ ازْدَرَاهُ فَلِضَعْفِ عِلْمِهِ بِمَعْلُومِهِ، وَقِلَّةِ تَعْظِيمِهِ لَهُ، وَخُلُوِّهِ مِنْ خَشْيَتِهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ النَّظَرِ لِعَاقِبَتِهِ. اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْعَالِمِينَ بِكَ الْعَامِلِينَ لَكَ، الْقَائِلِينَ بِعَدْلِكَ وَتَوْحِيدِكَ، الْخَائِفِينَ مِنْ وَعِيدِكَ. وَتُسَمَّى سُورَةَ الْأَسَاسِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أُصُولِ الدِّينِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَرَوَى أُبَيٌّ وَأَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أُسِّسَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ عَلَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"، يَعْنِي مَا خُلِقَتْ إِلَّا لِتَكُونَ دَلَائِلَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَقَالَ: "وَجَبَتْ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: "وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ".

سورة الشقر

سُورَةُ [الْفَلَقِ]

مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْفِيلِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1]

الْفَلَقُ وَالْفَرَقُ: الصُّبْحُ، لِأَنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عَنْهُ وَيُفْرَقُ: فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَطَعَ الْفُرْقَانُ، إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ. وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا يَفْلِقُهُ اللَّهُ، كَالْأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ، وَالْجِبَالِ عَنِ الْعُيُونِ، وَالسَّحَابِ عَنِ الْمَطَرِ، وَالْأَرْحَامِ عَنِ الْأَوْلَادِ، وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ أَوْ جُبٌّ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِمْ لِمَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ: الْفَلَقُ، وَالْجَمْعُ: فِلْقَانٌ.

وَعَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَدِمَ الشَّامَ فَرَأَى دُورَ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَمَا وُسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَقَالَ: لَا أُبَالِي، أَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهِمُ الْفَلَقُ؟ فَقِيلَ: وَمَا الْفَلَقُ؟ قَالَ: بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ .

---

[1] سورة ، الآية .

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[1]: مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ. وَشَرُّهُمْ: مَا يَفْعَلُهُ الْمُكَلَّفُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَآثِمِ، وَمَضَارَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا مِنْ ظُلْمٍ وَبَغْيٍ وَقَتْلٍ وَضَرْبٍ وَشَتْمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا يَفْعَلُهُ غَيْرُ الْمُكَلَّفِينَ مِنْهُ مِنَ الْأَكْلِ وَالنَّهْسِ وَاللَّذْعِ وَالْعَضِّ كَالسِّبَاعِ وَالْحَشَرَاتِ، وَمَا وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْمَوَاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرَرِ كَالْإِحْرَاقِ فِي النَّارِ وَالْقَتْلِ فِي السُّمِّ .

وَالْغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا اعْتَكَرَ ظَلَامُهُ مِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[2]]الْإِسْرَاءِ: 78]. وَمِنْهُ: غَسَقَتِ الْعَيْنُ امْتَلَأَتْ دَمْعًا، وَغَسَقَتِ الْجِرَاحَةُ: امْتَلَأَتْ دَمًا. وَوُقُوبُهُ: دُخُولُ ظَلَامِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيُقَالُ: وَقَبَتِ الشَّمْسُ إِذَا غَابَتْ. وَفِي الْحَدِيثِ :لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ قَدْ وَقَبَتْ قَالَ: هَذَا حِينُ حِلِّهَا، يَعْنِي صَلَاةَ الْمَغْرِبِ. وَقِيلَ: هُوَ الْقَمَرُ إِذَا امْتَلَأَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِيَدِي، فَأَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالَ: "تَعَوَّذِي مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ".

وَوُقُوبُهُ: دُخُولُهُ فِي الْكُسُوفِ وَاسْوِدَادُهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْغَاسِقِ: الْأَسْوَدُ مِنَ الْحَيَّاتِ: وَوَقْبُهُ: ضَرْبُهُ وَنَقْبُهُ .وَالْوَقْبُ: النَّقْبُ. وَمِنْهُ: وَقْبَةُ الثَّرِيدِ، وَالتَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ، لِأَنَّ انْبِثَاثَهُ فِيهِ أَكْثَرُ، وَالتَّحَرُّزُ مِنْهُ أَصْعَبُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ. وَقَوْلُهُمْ: أَغْدَرَ اللَّيْلُ، لِأَنَّهُ إِذَا أَظْلَمَ كَثُرَ فِيهِ الْغَدْرُ، وَأُسْنِدَ الشَّرُّ إِلَيْهِ لِمُلَابَسَتِهِ لَهُ مِنْ حُدُوثِهِ فِيهِ.

﴿النَّفَّاثَاتِ﴾[3]: النِّسَاءِ، أَوِ النُّفُوسِ، أَوِ الْجَمَاعَاتِ السَّوَاحِرِ اللَّاتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا فِي خُيُوطٍ وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا وَيَرْقِينَ: وَالنَّفْثُ النَّفْخُ مِنْ رِيقٍ، وَلَا تَأْثِيرَ لِذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ ثَمَّ إِطْعَامُ شَيْءٍ ضَارٍّ، أَوْ سَقْيُهُ، أَوْ إِشْمَامُهُ. أَوْ مُبَاشَرَةُ الْمَسْحُورِ بِهِ عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ يَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ فِعْلًا عَلَى سَبِيلِ الِامْتِحَانِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الثَّبْتُ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الْحَشْوِيَّةِ وَالْجَهَلَةِ مِنَ الْعَوَامِّ، فَيَنْسُبُهُ الْحَشْوِيَّةُ وَالرَّعَاعُ إِلَيْهِنَّ وَإِلَى نَفْثِهِنَّ، وَالثَّابِتُونَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْبَئُونَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِنَّ؟ قُلْتُ: فِيهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

– أَحَدُهَا: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ عَمَلِهِنَّ الَّذِي هُوَ صَنْعَةُ السِّحْرِ وَمِنْ إِثْمِهِنَّ فِي ذَلِكَ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

– وَالثَّانِي: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بِسِحْرِهِنَّ وَمَا يَخْدَعْنَهُمْ بِهِ مِنْ بَاطِلِهِنَّ.

– وَالثَّالِثُ: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ عِنْدَ نَفْثِهِنَّ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِنَّ النِّسَاءُ الْكَيَّادَاتُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1]]يُوسُفَ: 288]. تَشْبِيهًا لِكَيْدِهِنَّ بِالسِّحْرِ وَالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ. أَوِ اللَّاتِي يَفْتِنَّ الرِّجَالَ بِتَعَرُّضِهِنَّ لَهُمْ وَمَحَاسِنِهِنَّ، كَأَنَّهُنَّ يَسْحَرْنَهُمْ بِذَلِكَ .

﴿إِذَا حَسَدَ﴾[2]: إِذَا ظَهَرَ حَسَدُهُ، وَعُمِلَ بِمُقْتَضَاهُ: مِنْ بَغْيِ الْغَوَائِلِ لِلْمَحْسُودِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ مَا أَضْمَرَهُ فَلَا ضَرَرَ يَعُودُ مِنْهُ عَلَى مَنْ حَسَدَهُ، بَلْ هُوَ الضَّارُّ لِنَفْسِهِ لِاغْتِمَامِهِ بِسُرُورِ غَيْرِهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنْ حَاسِدٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِشَرِّ الْحَاسِدِ: إِثْمُهُ وَسَمَاجَةُ حَالِهِ فِي وَقْتِ حَسَدِهِ، وَإِظْهَارِهِ أَثَرَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[3] تَعْمِيمٌ فِي كُلِّ مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ، فَمَا مَعْنَى الِاسْتِعَاذَةِ بَعْدَهُ مِنَ الْغَاسِقِ وَالنَّفَّاثَاتِ وَالْحَاسِدِ؟ قُلْتُ: قَدْ خَصَّ شَرَّ هَؤُلَاءِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ لِخَفَاءِ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، كَأَنَّمَا يُغْتَالُ بِهِ. وَقَالُوا: الْمُدَاجِي الَّذِي يَكِيدُكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ عَرَّفَ بَعْضَ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ وَنَكَّرَ بَعْضَهُ؟ قُلْتُ: عُرِّفَتِ النَّفَّاثَاتُ، لِأَنَّ كُلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرَةٌ، وَنُكِّرَ غَاسِقٌ، لِأَنَّ كُلَّ غَاسِقٍ لَا يَكُونُ فِيهِ الشَّرُّ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونِ بَعْضٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ حَاسِدٍ لَا يَضُرُّ. وَرُبَّ حَسَدٍ مَحْمُودٍ، وَهُوَ الْحَسَدُ فِي الْخَيْرَاتِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ".

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

.....وَمَا حَاسِدِي فِي الْمَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

وَقَالَ:

..... إِنَّ الْعُلَا حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهَا".

]سعومَةُ الّنا ـر[

]سورة الناس[

50 مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا 6 نَزَلَتْ بَعْدَ [الْفَلَقِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[1]

قُرِئَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾[2] بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللَّامِ، وَنَحْوَهُ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً﴾[3]]الْبَقَرَةِ: 260].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾[4] مُضَافًا إِلَيْهِمْ خَاصَّةً؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمُ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ، وَهُوَ إِلَهُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ، كَمَا يَسْتَغِيثُ بَعْضُ الْمُوَالِي إِذَا اعْتَرَاهُمْ خَطْبٌ بِسَيِّدِهِمْ وَمَخْدُومِهِمْ وَوَالِي أَمْرِهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[1] مَا هُمَا مِنْ رَبِّ النَّاسِ؟ قُلْتُ: هُمَا عَطْفُ بَيَانٍ، كَقَوْلِكَ: سِيرَةُ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ الْفَارُوقِ. بُيِّنَ بِمَلِكِ النَّاسِ، ثُمَّ زِيدَ بَيَانًا بِإِلَهِ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ لِغَيْرِهِ: رَبُّ النَّاسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2]]التَّوْبَةِ: 31]. وَقَدْ يُقَالُ: مَلِكُ النَّاسِ. وَأَمَّا ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾[3]، فَخَاصٌّ لَا شَرِكَةَ فِيهِ، فَجُعِلَ غَايَةً لِلْبَيَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا اكْتَفَى بِإِظْهَارِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ النَّاسُ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قُلْتُ: لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ لِلْبَيَانِ، فَكَانَ مَظِنَّةً لِلْإِظْهَارِ دُونَ الْإِضْمَارِ.

﴿الْوَسْوَاسِ﴾[4]: اسْمٌ بِمَعْنَى الْوَسْوَسَةِ، كَالزِّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ. وَأَمَّا الْمَصْدَرُ فَوِسْوَاسٌ بِالْكَسْرِ كَزِلْزَالٍ. الْمُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ، سُمِّيَ بِالْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ وَسْوَسَةٌ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا صَنْعَتُهُ وَشُغْلُهُ الَّذِي هُوَ عَاكِفٌ عَلَيْهِ. أَوْ أُرِيدَ ذُو الْوَسْوَاسِ. وَالْوَسْوَسَةُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. وَمِنْهُ: وَسْوَاسُ الْحُلِيِّ.

وَ﴿الْخَنَّاسِ﴾[5] الَّذِي عَادَتُهُ أَنْ يَخْنِسَ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْخُنُوسِ وَهُوَ التَّأَخُّرُ كَالْعَوَّاجِ وَالْبَتَّاتِ، لِمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : إِذَا ذَكَرَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ خَنِسَ الشَّيْطَانُ وَوَلَّى، فَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ إِلَيْهِ .

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾[6] يَجُوزُ فِي مَحَلِّهِ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ، فَالْجَرُّ عَلَى الصِّفَةِ، وَالرَّفْعُ وَالنَّصْبُ عَلَى الشَّتْمِ، وَيَحْسُنُ أَنْ يَقِفَ الْقَارِئُ عَلَى ﴿الْخَنَّاسِ﴾[7] وَيَبْتَدِئَ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾[8] عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[9]: بَيَانٌ لِلَّذِي يُوَسْوِسُ، عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ ضَرْبَانِ: جَنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، كَمَا قَالَ: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾]الْأَنْعَامِ: 112].

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .
[9] سورة ، الآية .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسِ؟ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿مِنْ﴾[1] مُتَعَلِّقًا بِ ﴿يُوَسْوِسُ﴾[2]، وَمَعْنَاهُ: ابْتِدَاءُ الْغَايَةِ، أَيْ: يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ جِهَةِ الْجِنِّ وَمِنْ جِهَةِ النَّاسِ، وَقِيلَ: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ بَيَانٌ لِلنَّاسِ، وَأَنَّ اسْمَ النَّاسِ يَنْطَلِقُ عَلَى الْجِنَّةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِ (نَفَرٌ) وَ (رِجَالٌ): فِي سُورَةِ الْجِنِّ. وَمَا أَحَقَّهُ، لِأَنَّ الْجِنَّ سُمُّوا "جِنًّا" لِاجْتِنَانِهِمْ، وَالنَّاسَ "نَاسًا" لِظُهُورِهِمْ، مِنَ الْإِينَاسِ وَهُوَ الْإِبْصَارُ، كَمَا سُمُّوا بَشَرًا، وَلَوْ كَانَ يَقَعُ عَلَى النَّاسِ عَلَى الْقَبِيلَيْنِ، وَصَحَّ ذَلِكَ وَثَبَتَ: لَمْ يَكُنْ مُنَاسِبًا لِفَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَبُعْدِهِ مِنَ التَّصَنُّعِ. وَأَجْوَدُ مِنْهُ أَنْ يُرَادَ بِالنَّاسِ: النَّاسِي، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[3]]الْقَمَرِ: 6]. كَمَا قُرِئَ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[4]]الْبَقَرَةِ: 1999]. ثُمَّ يُبَيَّنُ بِالْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، لِأَنَّ الثَّقَلَيْنِ هُمَا النَّوْعَانِ الْمَوْصُوفَانِ بِنِسْيَانِ حَقِّ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أُنْزِلَ مِثْلَهُمَا، وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا، يَعْنِي: الْمُعَوِّذَتَيْنِ. وَيُقَالُ لِلْمُعَوِّذَتَيْنِ: الْمُقَشْقِشَتَانِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ: وَأَنَا أَعُوذُ بِهِمَا وَبِجَمِيعِ كَلِمَاتِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ التَّامَّةِ، وَأَلُوذُ بِكَنَفِ رَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ الْعَامَّةِ مِنْ كُلِّ مَا يَكْلَمُ الدِّينَ وَيَثْلِمُ الْيَقِينَ، أَوْ يَعُودُ فِي الْعَاقِبَةِ بِالنَّدَمِ، أَوْ يَقْدَحُ فِي الْإِيمَانِ الْمُسَوِّطِ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَأَسْأَلُهُ بِخُضُوعِ الْعُنُقِ وَخُشُوعِ الْبَصَرِ، وَوَضْعِ الْخَدِّ لِجَلَالِهِ الْأَعْظَمِ الْأَكْبَرِ، مُسْتَشْفِعًا إِلَيْهِ بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ الشَّيْبَةُ فِي الْإِسْلَامِ، مُتَوَسِّلًا بِالتَّوْبَةِ الْمُمَحِّصَةِ لِلْآثَامِ، وَبِمَا عُنِيتُ بِهِ مِنْ مُهَاجَرَتِي إِلَيْهِ وَمُجَاوَرَتِي وَمُرَابَطَتِي بِمَكَّةَ وَمُصَابَرَتِي عَلَى تَوَاكُلٍ مِنَ الْقُوَى، وَتَخَاذُلٍ مِنَ الْخَطَأِ، ثُمَّ أَسْأَلُهُ بِحَقِّ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ وَقُرْآنِهِ الْمَجِيدِ الْكَرِيمِ وَبِمَا لَقِيتُ مِنْ كَدْحِ الْيَمِينِ وَعَرَقِ الْجَبِينِ فِي عَمَلِ الْكَشَّافِ عَنْ حَقَائِقِهِ الْمُخَلِّصِ عَنْ مَضَايِقِهِ الْمُطَّلِعِ عَلَى غَوَامِضِهِ الْمُثْبِتِ فِي مَدَاحِضِهِ الْمُلَخِّصِ لِنُكَتِهِ وَلَطَائِفِ نَظْمِهِ الْمُنَقِّرِ عَنْ نُقَرِهِ وَجَوَاهِرِ عِلْمِهِ الْمُكْتَنِزِ بِالْفَوَائِدِ الْمُفْتَنَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهِ، الْمُحِيطِ بِمَا لَا يُكْتَنَهُ مِنْ بِدَعِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ مَعَ الْإِيجَازِ الْحَاذِفِ لِلْفُضُولِ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَتَجَنُّبِ الْمُسْتَكْرَهِ الْمَمْلُولِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَضْمُونِهِ إِلَّا إِيرَادُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى قَانُونِهِ لَكَفَى بِهِ ضَالَّةً يَنْشُدُهَا مُحَقِّقَةُ الْأَخْبَارِ، وَجَوْهَرُهُ يَتَمَنَّى الْعُثُورَ عَلَيْهَا غَاصَّةُ الْبِحَارِ وَبِمَا شَرَّفَنِي بِهِ وَمَجَّدَنِي وَاخْتَصَّنِي بِكَرَامَتِهِ وَتَوَحَّدَنِي مِنَ ارْتِفَاعٍ عَلَى يَدَيَّ فِي مَهْبِطِ بِشَارَاتِهِ وَنُذُرِهِ وَمُتَنَزَّلِ آيَاتِهِ وَسُوَرِهِ مِنَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ بَيْنَ ظَهَرَانَيِ الْحَرَمِ وَبَيْنَ يَدَيِ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ حَتَّى وَقَعَ التَّأْوِيلُ حَيْثُ وُجِدَ التَّنْزِيلُ: أَنْ يَهَبَ لِي خَاتِمَةَ الْخَيْرِ وَيَقِيَنِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ فُرُطَاتِي يَوْمَ التَّنَادِ، وَلَا يَفْضَحْنِي بِهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَيُحِلَّنِي دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ بِوَاسِعِ طَوْلِهِ وَسَابِغِ نَوْلِهِ، إِنَّهُ هُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ.

]سومَةُ العُقود[

]سُورَةُ الْبُرُوجِ[

مَكِّيَّةٌ،

وَآيَاتُهَا 22

[نَزَلَتْ بَعْدَ الشَّمْسِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1]

هِيَ الْبُرُوجُ الِاثْنَا عَشَرَ، وَهِيَ قُصُورُ السَّمَاءِ عَلَى التَّشْبِيهِ.

وَقِيلَ: ﴿الْبُرُوجِ﴾[2] النُّجُومُ الَّتِي هِيَ مَنَازِلُ الْقَمَرِ. وَقِيلَ: عِظَامُ الْكَوَاكِبِ. سُمِّيَتْ بُرُوجًا لِظُهُورِهَا. وَقِيلَ: أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[3]: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[4]، يَعْنِي وَشَاهِدٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَشْهُودٍ فِيهِ.

وَالْمُرَادُ بِالشَّاهِدِ: مَنْ يَشْهَدُ فِيهِ مِنَ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ، وَبِالْمَشْهُودِ: مَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ عَجَائِبِهِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَطَرِيقُ تَنْكِيرِهِمَا: إِمَّا مَا ذَكَرْتُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾[1]] التَّكْوِيرِ: 144]. كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا أَفْرَطَتْ كَثْرَتُهُ مِنْ شَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ. وَإِمَّا الْإِبْهَامُ فِي الْوَصْفِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَشَاهِدٍ مَشْهُودٍ لَا يُكْتَنَهُ وَصْفُهُمَا.

وَقَدِ اضْطَرَبَتْ أَقَاوِيلُ الْمُفَسِّرِينَ فِيهِمَا، فَقِيلَ: الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَقِيلَ: عِيسَى وَأُمَّتُهُ. لِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[2]الْمَائِدَةِ: 117]. وَقِيلَ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، وَسَائِرُ الْأُمَمِ. وَقِيلَ: يَوْمُ التَّرْوِيَةِ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، وَقِيلَ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَقِيلَ: الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَالْحَجِيجُ. وَقِيلَ: الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي وَبَنُو آدَمَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُنَادِي: إِنِّي يَوْمٌ جَدِيدٌ وَإِنِّي عَلَى مَا يُعْمَلُ فِيَّ شَهِيدٌ، فَاغْتَنِمْنِي، فَلَوْ غَابَتْ شَمْسٌ لَمْ تُدْرِكْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقِيلَ: الْحَفَظَةُ وَبَنُو آدَمَ. وَقِيلَ: الْأَنْبِيَاءُ وَمُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِالَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ جَوَابُ الْقَسَمِ؟

قُلْتُ: مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[4]، كَأَنَّهُ قِيلَ: أُقْسِمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّهُمْ مَلْعُونُونَ، يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَمَا لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّورَةَ وَرَدَتْ فِي تَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَصْبِيرِهِمْ عَلَى أَذَى أَهْلِ مَكَّةَ ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنَ التَّعْذِيبِ عَلَى الْإِيمَانِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَإِلْحَاقِ أَنْوَاعِ الْأَذَى، وَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ، حَتَّى يَأْنَسُوا بِهِمْ وَيَصْبِرُوا عَلَى مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ كُفَّارَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ أُولَئِكَ الْمُعَذِّبِينَ الْمُحَرِّقِينَ بِالنَّارِ، مَلْعُونُونَ أَحِقَّاءُ بِأَنْ يُقَالَ فِيهِمْ: قُتِلَتْ قُرَيْشٌ، كَمَا قِيلَ: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ.

وَقُتِلَ: دُعَاءٌ عَلَيْهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[1]]عَبَسَ: 177].

وَقُرِئَ: "قُتِّلَ" بِالتَّشْدِيدِ. وَالْأُخْدُودُ: الْخَدُّ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الشِّقُّ، وَنَحْوُهُمَا بِنَاءً. وَمَعْنَى: الْحَقُّ وَالْأُخْقُوقُ. وَمِنْهُ فَسَاخَتْ قَوَائِمُهُ فِي أَخَاقِيقِ جُرْذَانٍ.

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ ضَمَّ إِلَيْهِ غُلَامًا لِيُعَلِّمَهُ السِّحْرَ، وَكَانَ فِي طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ: فَسَمِعَ مِنْهُ، فَرَأَى فِي طَرِيقِهِ ذَاتَ يَوْمٍ دَابَّةً قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ. فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ الرَّاهِبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ السَّاحِرِ فَاقْتُلْهَا، فَكَانَ الْغُلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيَشْفِي مِنَ الْأَدْوَاءِ، وَعَمِيَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ فَأَبْرَأَهُ فَأَبْصَرَهُ الْمَلِكُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ فَقَالَ: رَبِّي، فَغَضِبَ فَعَذَّبَهُ. فَدَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَعَذَّبَهُ، فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَلَمْ يَرْجِعِ الرَّاهِبُ عَنْ دِينِهِ، فَقُدَّ بِالْمِنْشَارِ وَأَبَى الْغُلَامُ فَذُهِبَ بِهِ إِلَى جَبَلٍ لِيُطْرَحَ مِنْ ذُرْوَتِهِ، فَدَعَا فَرَجَفَ بِالْقَوْمِ، فَطَاحُوا وَنَجَا، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى قُرْقُورٍ فَلَجَّجُوا بِهِ لِيُغْرِقُوهُ، فَدَعَا فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ، فَغَرِقُوا وَنَجَا، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَجْعَلَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَتَصْلُبَنِي عَلَى جِذْعٍ وَتَأْخُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي وَتَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ تَرْمِيَنِي بِهِ، فَرَمَاهُ فَوَقَعَ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَقِيلَ لِلْمَلِكِ. نَزَلَ بِكَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، فَأَمَرَ بِأَخَادِيدَ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ وَأُوقِدَتْ فِيهَا النِّيرَانُ. فَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ طَرَحَهُ فِيهَا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ الصَّبِيُّ: يَا أُمَّاهْ، اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ. وَقِيلَ: قَالَ لَهَا قَعِي وَلَا تُنَافِقِي. وَقِيلَ: قَالَ لَهَا: مَا هِيَ إِلَّا غُمَيْضَةٌ فَصَبَرَتْ".

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُمْ حِينَ اخْتَلَفُوا فِي أَحْكَامِ الْمَجُوسِ قَالَ: هُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَكَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِمْ، وَكَانَتِ الْخَمْرُ قَدْ أُحِلَّتْ لَهُمْ، فَتَنَاوَلَهَا بَعْضُ مُلُوكِهِمْ فَسَكِرَ، فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَلَمَّا صَحَا نَدِمَ وَطَلَبَ الْمَخْرَجَ، فَقَالَتْ لَهُ: الْمَخْرَجُ أَنْ تَخْطُبَ النَّاسَ، فَتَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ أَحَلَّ نِكَاحَ الْأَخَوَاتِ، ثُمَّ تَخْطُبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَقُولُ:

---

[1] سورة ، الآية .

إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ، فَخَطَبَ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ. فَقَالَتْ لَهُ: ابْسُطْ فِيهِمُ السَّوْطَ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَقَالَتْ لَهُ: ابْسُطْ فِيهِمُ السَّيْفَ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَأَمَرَتْهُ بِالْأَخَادِيدِ وَإِيقَادِ النِّيرَانِ وَطَرْحِ مَنْ أَبَى فِيهَا، فَهُمُ الَّذِينَ أَرَادَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[1].

وَقِيلَ: وَقَعَ إِلَى نَجْرَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَدَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ الْيَهُودِيُّ بِجُنُودٍ مِنْ حِمْيَرَ ، فَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ النَّارِ وَالْيَهُودِيَّةِ فَأَبَوْا، فَأَحْرَقَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا فِي الْأَخَادِيدِ.

وَقِيلَ: سَبْعِينَ أَلْفًا، وَذُكِرَ أَنَّ طُولَ الْأُخْدُودِ: أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ تَعَوَّذَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ.

﴿النَّارِ﴾[2] بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الْأُخْدُودِ.

﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾[3]: وَصْفٌ لَهَا بِأَنَّهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ لَهَا مَا يَرْتَفِعُ بِهِ لَهَبُهَا مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرِ وَأَبْدَانِ النَّاسِ.

وَقُرِئَ: الْوَقُودُ بِالضَّمِّ. "إِذْ" ظَرْفٌ لِقُتِلَ، أَيْ: لُعِنُوا حِينَ أَحْدَقُوا بِالنَّارِ قَاعِدِينَ حَوْلَهَا.

وَمَعْنَى ﴿عَلَيْهَا﴾[4]: عَلَى مَا يَدْنُو مِنْهَا مِنْ حَافَاتِ الْأُخْدُودِ، كَقَوْلِهِ:

.....وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

وَكَمَا تَقُولُ: مَرَّتْ عَلَيْهِ، تُرِيدُ: مُسْتَعْلِيًا لِمَكَانٍ يَدْنُو مِنْهُ، وَمَعْنَى شَهَادَتِهِمْ عَلَى إِحْرَاقِ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُمْ وَكَّلُوا بِذَلِكَ وَجَعَلُوا شُهُودًا يَشْهَدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ الْمَلِكِ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يُفَرِّطْ فِيمَا أُمِرَ بِهِ وَفُوِّضَ إِلَيْهِ مِنَ التَّعْذِيبِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: أَنَّهُمْ شُهُودٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، يُؤَدُّونَ شَهَادَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]]النُّورِ: 24.[

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾[1]: وَمَا عَابُوا مِنْهُمْ وَمَا أَنْكَرُوا إِلَّا الْإِيمَانَ كَقَوْلِهِ:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ .....

قَالَ ابْنُ الرُّقَيَّاتِ:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلْ لَا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: نَقِمُوا بِالْكَسْرِ.

وَالْفَصِيحُ: هُوَ الْفَتْحُ. وَذِكْرُ الْأَوْصَافِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ وَيَعْبُدَ، وَهُوَ كَوْنُهُ عَزِيزًا غَالِبًا قَادِرًا يُخْشَى عِقَابُهُ حَمِيدًا مُنْعِمًا. يَجِبُ لَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعْمَتِهِ وَيُرْجَى ثَوَابُهُ.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2]، فَكُلُّ مَنْ فِيهِمَا تَحِقُّ عَلَيْهِ عِبَادَتُهُ وَالْخُشُوعُ لَهُ تَقْدِيرًا، لِأَنَّ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَنْقِمُهُ إِلَّا مُبْطِلٌ مُنْهَمِكٌ فِي الْغَيِّ، وَأَنَّ النَّاقِمِينَ أَهْلٌ لِانْتِقَامِ اللَّهِ مِنْهُمْ بِعَذَابٍ لَا يَعْدِلُهُ عَذَابٌ.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]: وَعِيدٌ لَهُمْ، يَعْنِي أَنَّهُ عَلِمَ مَا فَعَلُوا، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[4]

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالَّذِينِ فَتَنُوا: أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ خَاصَّةً، وَبِالَّذِينِ آمَنُوا: الْمَطْرُوحِينَ فِي الْأُخْدُودِ. وَمَعْنَى فَتَنُوهُمْ عَذَّبُوهُمْ بِالنَّارِ وَأَحْرَقُوهُمْ.

﴿فَلَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[5] بِكُفْرِهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[1]، وَهِيَ نَارٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ تَتَّسِعُ كَمَا يَتَّسِعُ الْحَرِيقُ بِإِحْرَاقِهِمْ الْمُؤْمِنِينَ. أَوْ لَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ فِي الدُّنْيَا، لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّارَ انْقَلَبَتْ عَلَيْهِمْ فَأَحْرَقَتْهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: بَلَوْهُمْ بِالْأَذَى عَلَى الْعُمُومِ، وَالْمُؤْمِنِينَ: الْمَفْتُونِينَ، وَأَنَّ لِلْفَاتِنِينَ عَذَابَيْنِ فِي الْآخِرَةِ: لِكُفْرِهِمْ، وَلِفِتْنَتِهِمْ.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[2]

الْبَطْشُ: الْأَخْذُ بِالْعُنْفِ، فَإِذَا وُصِفَ بِالشِّدَّةِ فَقَدْ تَضَاعَفَ وَتَفَاقَمَ: وَهُوَ بَطْشُهُ بِالْجَبَابِرَةِ وَالظَّلَمَةِ، وَأَخْذِهِمْ بِالْعَذَابِ وَالِانْتِقَامِ.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[3]، أَيْ: يُبْدِئُ الْبَطْشَ وَيُعِيدُهُ. يَعْنِي: يَبْطِشُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ. أَوْ دَلَّ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى الْإِبْدَاءِ وَالْإِعَادَةِ عَلَى شِدَّةِ بَطْشِهِ وَأَوْعَدَ الْكَفَرَةَ بِأَنَّهُ يُعِيدُهُمْ كَمَا أَبْدَأَهُمْ لِيَبْطِشَ بِهِمْ إِذْ لَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ الْإِبْدَاءِ وَكَذَّبُوا بِالْإِعَادَةِ.

وَقُرِئَ: يَبْدَأُ.

﴿الْوَدُودُ﴾[4]: الْفَاعِلُ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ مَا يَفْعَلُهُ الْوَدُودُ: مِنْ إِعْطَائِهِمْ مَا أَرَادُوا.

وَقُرِئَ: ذِي الْعَرْشِ صِفَةٌ لِرَبِّكَ وَقُرِئَ: الْمَجِيدِ بِالْجَرِّ صِفَةٌ لِلْعَرْشِ. وَمَجْدُ اللَّهِ عَظَمَتُهُ، وَمَجْدُ الْعَرْشِ: عُلُوُّهُ وَعَظَمَتُهُ.

﴿فَعَّالٌ﴾[5]: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ. وَإِنَّمَا قِيلَ: فَعَّالَ، لِأَنَّ مَا يُرِيدُ وَيَفْعَلُ فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[1]

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾[2] بَدَلٌ مِنَ الْجُنُودِ وَأَرَادَ بِفِرْعَوْنَ إِيَّاهُ وَآلَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾[3]]يُونُسَ: 83].

وَالْمَعْنَى: قَدْ عَرَفْتَ تَكْذِيبَ تِلْكَ الْجُنُودِ الرُّسُلَ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ لِتَكْذِيبِهِمْ.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] مِنْ قَوْمِكَ ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾[5]، أَيْ: تَكْذِيبٍ وَاسْتِيجَابٍ لِلْعَذَابِ، وَاللَّهُ عَالِمٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَقَادِرٌ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يُعْجِزُونَهُ.

وَالْإِحَاطَةُ بِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ: مَثَلٌ لِأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ، كَمَا لَا يَفُوتُ فَائِتُ الشَّيْءِ الْمُحِيطُ بِهِ.

وَمَعْنَى الْإِضْرَابِ: أَنَّ أَمْرَهُمْ أَعْجَبُ مِنْ أَمْرِ أُولَئِكَ، لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا بِقِصَصِهِمْ وَبِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَرَأَوْا آثَارَ هَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَعْتَبِرُوا، وَكَذَّبُوا أَشَدَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ.

﴿بَلْ هُوَ﴾[6]، أَيْ: بَلْ هَذَا الَّذِي كَذَّبُوا بِهِ، ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[7]: شَرِيفٌ عَالِي الطَّبَقَةِ فِي الْكُتُبِ وَفِي نَظْمِهِ وَإِعْجَازِهِ.

وَقُرِئَ: قُرْآنُ مَجِيدٍ، بِالْإِضَافَةِ، أَيْ: قُرْآنُ رَبٍّ مَجِيدٍ.

وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ: فِي لَوْحٍ، وَاللَّوْحُ: الْهَوَاءُ، يَعْنِي: اللَّوْحُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الَّذِي فِيهِ اللَّوْحُ.

﴿مَحْفُوظٍ﴾[8] مِنْ وُصُولِ الشَّيَاطِينِ إِلَيْهِ.

وَقُرِئَ: مَحْفُوظٌ بِالرَّفْعِ، صِفَةُ الْقُرْآنِ.

---

1 سورة ، الآية .
2 سورة ، الآية .
3 سورة ، الآية .
4 سورة ، الآية .
5 سورة ، الآية .
6 سورة ، الآية .
7 سورة ، الآية .
8 سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْبُرُوجِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ بِعَدَدِ كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ وَكُلِّ يَوْمِ عَرَفَةَ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ".

]سوءَمُةُ الدّارَ[

]سورة الطارق[

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا 17
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَلَدِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ
النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[1]

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[2]: الْمُضِيءُ، كَأَنَّهُ يَثْقُبُ الظَّلَامَ بِضَوْئِهِ فَيَنْفُذُ فِيهِ، كَمَا قِيلَ: دُرِّيءٌ، لِأَنَّهُ يَدْرَؤُهُ، أَيْ: يَدْفَعُهُ. وَوُصِفَ بِالطَّارِقِ، لِأَنَّهُ يَبْدُو بِاللَّيْلِ، كَمَا يُقَالُ لِلْآتِي لَيْلًا: طَارِقٌ، أَوْ لِأَنَّهُ يَطْرُقُ الْجِنِّيَّ، أَيْ يَصُكُّهُ.

وَالْمُرَادُ: جِنْسُ النُّجُومِ، أَوْ جِنْسُ الشُّهُبِ الَّتِي يُرْجَمُ بِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا يُشْبِهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[3] إِلَّا تَرْجَمَةَ كَلِمَةٍ بِأُخْرَى، فَبَيِّنْ لِي أَيَّ فَائِدَةٍ تَحْتَهُ؟

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .

قُلْتُ: أَرَادَ اللَّهُ –عَزَّ مِنْ قَائِلٍ–: أَنْ يُقْسِمَ بِالنَّجْمِ الثَّاقِبِ تَعْظِيمًا لَهُ، لِمَا عُرِفَ فِيهِ مِنْ عَجِيبِ الْقُدْرَةِ وَلَطِيفِ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ يُنَبِّهَ عَلَى ذَلِكَ فَجَاءَ بِمَا هُوَ صِفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَهُوَ الطَّارِقُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾[1]، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[2]؛ كُلُّ هَذَا إِظْهَارٌ لِفَخَامَةِ شَأْنِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[3]الْوَاقِعَةِ: 755–76].

رُوِيَ :أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَانْحَطَّ نَجْمٌ، فَامْتَلَأَ مَا ثَمَّ نُورًا فَجَزِعَ أَبُو طَالِبٍ وَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ فَقَالَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "هَذَا نَجْمٌ رُمِيَ بِهِ، وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ" فَعَجِبَ أَبُو طَالِبٍ، فَنَزَلَتْ .

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[4]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا جَوَابُ الْقَسَمِ؟

قُلْتُ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[5]، لِأَنَّ "إِنْ" لَا تَخْلُو فِيمَنْ قَرَأَ لَمَّا مُشَدَّدَةً، بِمَعْنَى: إِلَّا أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً. وَفِيمَنْ قَرَأَهَا مُخَفَّفَةً عَلَى أَنَّ "مَا" صِلَةٌ تَكُونُ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَأَيَّتُهُمَا كَانَتْ فَهِيَ مِمَّا يُتَلَقَّى بِهِ الْقَسَمُ، حَافِظٌ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهَا رَقِيبٌ، وَهُوَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾[6]]الْأَحْزَابِ: 52[، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾[7]]النِّسَاءِ: 855].

وَقِيلَ: مَلَكٌ يَحْفَظُ عَمَلَهَا وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْسِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وُكِّلَ بِالْمُؤْمِنِ مِائَةٌ وَسِتُّونَ مَلَكًا يَذُبُّونَ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ الْعَسَلِ الذُّبَابُ. وَلَوْ وُكِلَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَاخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ".

﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ اتِّصَالِ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾[2] بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: وَجْهُ اتِّصَالِهِ بِهِ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ حَافِظًا، أَتْبَعَهُ تَوْصِيَةَ الْإِنْسَانِ بِالنَّظَرِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَنَشْأَتِهِ الْأُولَى، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ وَجَزَائِهِ، فَيَعْمَلُ لِيَوْمِ الْإِعَادَةِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا يُمْلِي عَلَى حَافِظِهِ إِلَّا مَا يَسُرُّهُ فِي عَاقِبَتِهِ.

وَ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾[3]: اسْتِفْهَامٌ جَوَابُهُ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[4]، وَالدَّفْقُ: صَبٌّ فِيهِ دَفْعٌ.

وَمَعْنَى دَافِقٍ: النِّسْبَةُ إِلَى الدَّفْقِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرٌ دَفَقَ، كَاللَّابِنِ وَالتَّامِرِ. أَوِ الْإِسْنَادُ الْمَجَازِيُّ.

وَالدَّفْقُ فِي الْحَقِيقَةِ لِصَاحِبِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: مَاءَيْنِ؛ لِامْتِزَاجِهِمَا فِي الرَّحِمِ، وَاتِّحَادِهِمَا حِينَ ابْتُدِئَ فِي خَلْقِهِ.

﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[5]: مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ حَيْثُ تَكُونُ الْقِلَادَةُ.

وَقُرِئَ "الصَّلَبِ" بِفَتْحَتَيْنِ، وَالصُّلُبِ بِضَمَّتَيْنِ. وَفِيهِ أَرْبَعُ لُغَاتٍ: صُلْبٌ، وَصَلَبٌ، وَصُلُبٌ وَصَالِبٌ.

قَالَ الْعَجَّاجُ:

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .

فِي صَلَبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُـــؤْدَمِ
وَقِيلَ: الْعَظْمُ وَالْعَصَبُ مِنَ الرَّجُلِ، وَاللَّحْمُ وَالدَّمُ مِنَ الْمَرْأَةِ.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾[1]

﴿إِنَّهُ﴾[2]: الضَّمِيرُ لِلْخَالِقِ، لِدَلَالَةِ "خَلَقَ" عَلَيْهِ. وَمَعْنَاهُ: إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ ابْتِدَاءً مِنْ نُطْفَةٍ.

﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾: عَلَى إِعَادَتِهِ خُصُوصًا.

﴿لَقَادِرٌ﴾[3]: لَبَيِّنُ الْقُدْرَةِ لَا يَلْتَاثُ عَلَيْهِ وَلَا يَعْجِزُ عَنْهُ. كَقَوْلِهِ: إِنَّنِي لَفَقِيرٌ.

﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾[4] مَنْصُوبٌ بِرَجْعِهِ، وَمَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ فِي ﴿رَجْعِهِ﴾[5]، وَفَسَّرَهُ بِرَجْعِهِ إِلَى مَخْرَجِهِ مِنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ أَوِ الْإِحْلِيلِ. أَوْ إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى نَصَبَ الظَّرْفَ بِمُضْمَرٍ.

﴿السَّرَائِرُ﴾[6]: مَا أُسِرَّ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ وَغَيْرِهَا، وَمَا أُخْفِيَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَبَلَائِهَا. تَعَرُّفُهَا وَتَصَفُّحُهَا، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا طَابَ مِنْهَا وَمَا خَبُثَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشِدُ:

سَيَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةُ وُدٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

فَقَالَ: مَا أَغْفَلَهُ عَمَّا فِي ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾[7].

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

﴿فَمَا لَهُ﴾[1]: فَمَا لِلْإِنْسَانِ ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾[2]: مِنْ مَنَعَةٍ فِي نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ بِهَا، ﴿ولا نَاصِرٍ﴾[3]: وَلَا مَانِعٍ يَمْنَعُهُ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[4]

سُمِّي الْمَطَرُ: رَجْعًا، كَمَا سُمِّيَ أَوْبًا قَالَ:

رَبَّاءُ شَمَّاءُ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّبَلُ

تَسْمِيَةً بِمَصْدَرَيْ: رَجَعَ، وَآبَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّحَابَ يَحْمِلُ الْمَاءَ مِنْ بِحَارِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يُرْجِعُهُ إِلَى الْأَرْضِ. أَوْ أَرَادُوا التَّفَاؤُلَ فَسَمَّوْهُ رَجْعًا. وَأَوْبًا، لِيَرْجِعَ وَيَؤُوبَ. وَقِيلَ: لِأَنَّ اللَّهَ يُرْجِعُهُ وَقْتًا فَوَقْتًا. قَالَتِ الْخَنْسَاءُ: كَالرَّجْعِ فِي الْمُدْجِنَةِ السَّارِيَةِ. وَالصَّدْعُ: مَا يَتَصَدَّعُ عَنْهُ الْأَرْضُ مِنَ النَّبَاتِ.

﴿إِنَّهُ﴾[5]، الضَّمِيرُ لِلْقُرْآنِ، ﴿فَصْلٌ﴾[6]: فَاصِلٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَمَا قِيلَ لَهُ: فُرْقَانٌ.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[7]، يَعْنِي أَنَّهُ جَدٌّ كُلُّهُ لَا هَوَادَةَ فِيهِ. وَمِنْ حَقِّهِ –وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ– أَنْ يَكُونَ مَهِيبًا فِي الصُّدُورِ، مُعَظَّمًا فِي الْقُلُوبِ، يَتَرَفَّعُ بِهِ قَارِئُهُ وَسَامِعُهُ وَأَنْ يُلِمَّ بِهَزْلٍ أَوْ يَتَفَكَّهَ بِمِزَاحٍ، وَأَنْ يُلْقِيَ ذِهْنَهُ إِلَى أَنَّ جَبَّارَ السَّمَوَاتِ يُخَاطِبُهُ فَيَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ، وَيَعِدُهُ وَيُوعِدُهُ، حَتَّى إِنْ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْخَوْفُ وَلَمْ تَتَبَالَغْ فِيهِ الْخَشْيَةُ، فَأَدْنَى أَمْرِهِ أَنْ يَكُونَ جَادًّا غَيْرَ

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

هَازِلٍ، فَقَدْ نَعَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[1]]النَّجْمِ: 61[، ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾[2]]فُصِّلَتْ: 26 .[

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[3]

﴿إِنَّهُمْ﴾[4]، يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ يَعْمَلُونَ الْمَكَايِدَ فِي إِبْطَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَإِطْفَاءِ نُورِ الْحَقِّ، وَأَنَا أُقَابِلُهُمْ بِكَيْدِي: مِنَ اسْتِدْرَاجِي لَهُمْ وَانْتِظَارِي بِهِمُ الْمِيقَاتَ الَّذِي وَقَّتُّهُ لِلانْتِصَارِ مِنْهُمْ.

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾[5]، يَعْنِي: لَا تَدْعُ بِهَلَاكِهِمْ وَلَا تَسْتَعْجِلْ بِهِ.

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[6]، أَيْ: إِمْهَالًا يَسِيرًا، وَكَرِّرْ وَخَالِفْ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لِزِيَادَةِ التَّسْكِينِ مِنْهُ وَالتَّصْبِيرِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الطَّارِقِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ بِعَدَدِ كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

]سورَةُ الثّانى[

]سُورَةُ الْأَعْلَى[

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا 19
[نَزَلَتْ بَعْدَ التَّكْوِيرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[1]

تَسْبِيحُ اسْمِهِ –عَزَّ وَعَلَا–: تَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَصِحُّ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ إِلْحَادٌ فِي أَسْمَائِهِ، كَالْجَبْرِ وَالتَّشْبِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِثْلَ أَنْ يُفَسَّرَ الْأَعْلَى بِمَعْنَى الْعُلُوِّ الَّذِي هُوَ الْقَهْرُ وَالِاقْتِدَارُ، لَا بِمَعْنَى الْعُلُوِّ فِي الْمَكَانِ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً، وَأَنْ يُصَانَ عَنِ الِابْتِذَالِ وَالذِّكْرِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْخُشُوعِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿الأَعْلَى﴾[2] صِفَةً لِلرَّبِّ، وَالِاسْمِ.

وَقَرَأَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى.

وَفِي الْحَدِيثِ لَمَّا نَزَلَتْ: فَسَبِّحْ بَاسِمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ" فَلَمَّا نَزَلَ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ: "اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ"، وَكَانُوا يَقُولُونَ فِي الرُّكُوعِ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَفِي السُّجُودِ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾[1]، أَيْ: خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَسَوَّى خَلْقَهُ تَسْوِيَةً، وَلَمْ يَأْتِ بِهِ مُتَفَاوِتًا غَيْرَ مُلْتَئِمٍ، وَلَكِنْ عَلَى إِحْكَامٍ وَاتِّسَاقٍ، وَدَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ عَالِمٍ، وَأَنَّهُ صَنْعَةُ حَكِيمٍ.

﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾[2]: قَدَّرَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ مَا يُصْلِحُهُ، فَهَدَاهُ إِلَيْهِ وَعَرَّفَهُ وَجْهَ الِانْتِفَاعِ بِهِ.

يُحْكَى أَنَّ الْأَفْعَى إِذَا أَتَتْ عَلَيْهَا أَلْفُ سَنَةٍ عَمِيَتْ، وَقَدْ أَلْهَمَهَا اللَّهُ أَنَّ مَسْحَ الْعَيْنِ بِوَرَقِ الرَّازَيَانِجِ الْغَضِّ يَرُدُّ إِلَيْهَا بَصَرَهَا، فَرُبَّمَا كَانَتْ فِي بَرِّيَّةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرِّيفِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ فَتَطْوِي تِلْكَ الْمَسَافَةَ عَلَى طُولِهَا وَعَلَى عَمَاهَا حَتَّى تَهْجُمَ فِي بَعْضِ الْبَسَاتِينِ عَلَى شَجَرَةِ الرَّازَيَانِجِ لَا تُخْطِئُهَا، فَتَحُكُّ بِهَا عَيْنَيْهَا وَتَرْجِعُ بَاصِرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَهِدَايَاتُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَا يُحَدُّ مِنْ مَصَالِحِهِ وَمَا لَا يُحْصَرُ مِنْ حَوَائِجِهِ فِي أَغْذِيَتِهِ وَأَدْوِيَتِهِ، وَفِي أَبْوَابِ دُنْيَاهُ وَدِينِهِ، وَإِلْهَامَاتُ الْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ وَهَوَامِّ الْأَرْضِ: بَابٌ وَاسِعٌ، وَشَوْطٌ بَطِينٌ، لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفُ وَاصِفٍ، فَسُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى.

وَقُرِئَ: "قَدَرَ" بِالتَّخْفِيفِ.

﴿أَحْوَى﴾[3] صِفَةٌ لِـ ﴿غُثَاءً﴾[4]، أَيْ: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾[5]: أَنْبَتَهُ.

﴿فَجَعَلَهُ﴾[6] بَعْدَ خُضْرَتِهِ وَرَفِيفِهِ.

﴿غُثَاءً أَحْوَى﴾[7]: دَرِينًا أَسْوَدَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿أَحْوَى﴾[8] حَالًا مِنَ الْمَرْعَى، أَيْ: أَخْرَجَهُ أَحْوَى أَسْوَدَ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ وَالرَّيِّ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً بَعْدَ حَوْبِهِ .

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[1]

بَشَّرَهُ اللَّهُ بِإِعْطَاءِ آيَةٍ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ: أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ مَا يَقْرَأُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ، فَيَحْفَظُهُ وَلَا يَنْسَاهُ ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[2]، فَذَهَبَ بِهِ عَنْ حِفْظِهِ بِرَفْعِ حُكْمِهِ وَتِلَاوَتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾[3]]الْبَقَرَةِ: 106].

وَقِيلَ: كَانَ يَعْجَلُ بِالْقِرَاءَةِ إِذَا لَقَّنَهُ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: لَا تَعْجَلْ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَقْرَأَهُ عَلَيْكَ قِرَاءَةً مُكَرَّرَةً إِلَى أَنْ تَحْفَظَهُ، ثُمَّ لَا تَنْسَاهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَذْكُرُهُ بَعْدَ النِّسْيَانِ.

أَوْ قَالَ: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، يَعْنِي: الْقِلَّةَ وَالنُّدْرَةَ، كَمَا رَوَى "أَنَّهُ أَسْقَطَ آيَةً فِي قِرَاءَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَحَسِبَ أُبَيٌّ أَنَّهَا نُسِخَتْ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: نَسِيتُهَا" أَوْ قَالَ: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ الْغَرَضُ نَفْيُ النِّسْيَانِ رَأْسًا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: أَنْتَ سَهِيمِي فِيمَا أَمْلِكُ إِلَّا فِيمَا شَاءَ اللَّهُ. وَلَا يَقْصِدُ اسْتِثْنَاءَ شَيْءٍ، وَهُوَ اسْتِعْمَالُ الْقِلَّةِ فِي مَعْنَى النَّفْيِ .

وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿فَلا تَنْسَى﴾[4] عَلَى النَّهْيِ، وَالْأَلِفُ مَزِيدَةٌ لِلْفَاصِلَةِ، كَقَوْلِهِ: "السَّبِيلَا" [الْأَحْزَابِ:67]، يَعْنِي: فَلَا تُغْفِلْ قِرَاءَتَهُ وَتَكْرِيرَهُ فَتَنْسَاهُ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْسِيَكَهُ بِرَفْعِ تِلَاوَتِهِ لِلْمَصْلَحَةِ.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾[5]، يَعْنِي أَنَّكَ تَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ مَعَ قِرَاءَةِ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مَخَافَةَ التَّفَلُّتِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ جَهْرَكَ مَعَهُ وَمَا فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَدْعُوكَ إِلَى الْجَهْرِ، فَلَا تَفْعَلْ، فَأَنَا أَكْفِيكَ مَا تَخَافُهُ. أَوْ يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ مِنْ أَقْوَالِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ، وَمَا ظَهَرَ وَبَطَنَ مِنْ أَحْوَالِكُمْ، وَمَا هُوَ مَصْلَحَةٌ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَمَفْسَدَةٌ فِيهِ، فَيُنْسِي مِنَ الْوَحْيِ مَا يَشَاءُ، وَيَتْرُكُ مَحْفُوظًا مَا يَشَاءُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾[1]

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[2] مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾[3].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[4] اعْتِرَاضٌ؛ وَمَعْنَاهُ: وَنُوَفِّقُكَ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ، يَعْنِي: حِفْظَ الْوَحْيِ. وَقِيلَ لِلشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ الَّتِي هِيَ أَيْسَرُ الشَّرَائِعِ وَأَسْهَلُهَا مَأْخَذًا.

وَقِيلَ: نُوَفِّقُكَ لِعَمَلِ الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَانَ الرَّسُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَأْمُورًا بِالذِّكْرَى نَفَعَتْ أَوْ لَمْ تَنْفَعْ، فَمَا مَعْنَى اشْتِرَاطِ النَّفْعِ؟

قُلْتُ: هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدِ اسْتَفْرَغَ مَجْهُودَهُ فِي تَذْكِيرِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَزِيدُونَ عَلَى زِيَادَةِ الذِّكْرَى إِلَّا عُتُوًّا وَطُغْيَانًا، وَكَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَتَلَظَّى حَسْرَةً وَتَلَهُّفًا وَيَزْدَادُ جِدًّا فِي تَذْكِيرِهِمْ وَحِرْصًا عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ، فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾[5]الزُّخْرُفِ: 899.[

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[6]، وَذَلِكَ بَعْدَ إِلْزَامِ الْحُجَّةِ بِتَكْرِيرِ التَّذْكِيرِ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ شَرْطًا، وَمَعْنَاهُ ذَمًّا لِلْمُذَكَّرِينَ، وَإِخْبَارًا عَنْ حَالِهِمْ، وَاسْتِبْعَادًا لِتَأْثِيرِ الذِّكْرَى فِيهِمْ، وَتَسْجِيلًا عَلَيْهِمْ بِالطَّبْعِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، كَمَا تَقُولُ لِلْوَاعِظِ: عِظِ الْمَكَّاسِينَ إِنْ سَمِعُوا مِنْكَ. قَاصِدًا بِهَذَا الشَّرْطِ اسْتِبْعَادَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ.

---

1 سورة ، الآية .

2 سورة ، الآية .

3 سورة ، الآية .

4 سورة ، الآية .

5 سورة ، الآية .

6 سورة ، الآية .

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾[1]، فَيَقْبَلُ التَّذْكِرَةَ وَيَنْتَفِعُ بِهَا، ﴿مَنْ يَخْشَى﴾[2] اللَّهَ وَسُوءَ الْعَاقِبَةِ، فَيَنْظُرُ وَيُفَكِّرُ حَتَّى يَقُودَهُ النَّظَرُ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ: فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَغَيْرُ خَاشِينَ وَلَا نَاظِرِينَ، فَلَا تَأْمَلْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْكَ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾[3] وَيَتَجَنَّبُ الذِّكْرَى وَيَتَحَامَاهَا ﴿الأَشْقَى﴾[4] الْكَافِرُ، لِأَنَّهُ أَشْقَى مِنَ الْفَاسِقِ. أَوِ الَّذِي هُوَ أَشْقَى الْكَفَرَةِ لِتَوَغُّلِهِ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ.

﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾[5]: السُّفْلَى مِنْ أَطْبَاقِ النَّارِ.

وَقِيلَ: ﴿الْكُبْرَى﴾[6] نَارُ جَهَنَّمَ. وَالصُّغْرَى نَارُ الدُّنْيَا.

وَقِيلَ: "ثُمَّ"، لِأَنَّ التَّرَجُّحَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ أَفْظَعُ مِنَ الصَّلْيِ، فَهُوَ مُتَرَاخٍ عَنْهُ فِي مَرَاتِبِ الشِّدَّةِ.

وَالْمَعْنَى: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[7]

﴿تَزَكَّى﴾[8] تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي. أَوْ تَطَهَّرَ لِلصَّلَاةِ. أَوْ تَكَثَّرَ مِنَ التَّقْوَى، مِنَ الزَّكَاةِ وَهُوَ النَّمَاءُ. أَوْ تَفَعَّلَ مِنَ الزَّكَاةِ، كَتَصَدَّقَ مِنَ الصَّدَقَةِ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .

﴿فَصَلَّى﴾[1]، أَيْ: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[2]]الْبَقَرَة: 177].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَصَدَّقَ وَصَلَّى.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ هُوَ: التَّصَدُّقُ بِصَدَقَةِ الْفِطْرِ.

وَقَالَ: لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَجِدَ فِي كِتَابِي غَيْرَهَا، لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[3]، أَيْ: أَعْطَى زَكَاةَ الْفِطْرِ، فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ، فَكَبَّرَ تَكْبِيرَةَ الِافْتِتَاحِ، وَبِهِ يُحْتَجُّ عَلَى وُجُوبِ تَكْبِيرَةِ الِافْتِتَاحِ، وَعَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الصَّلَاةِ لِأَنَّ الصَّلَاةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا، وَعَلَى أَنَّ الِافْتِتَاحَ جَائِزٌ بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: ذَكَرَ مَعَادَهُ وَمَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فَصَلَّى لَهُ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى فَصَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[4]، فَلَا تَفْعَلُونَ مَا تُفْلِحُونَ بِهِ.

وَقُرِئَ: يُؤْثِرُونَ عَلَى الْغَيْبَةِ.

وَيُعَضِّدُ الْأُولَى قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "بَلْ أَنْتُمْ تُؤْثِرُونَ".

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[5]: أَفْضَلُ فِي نَفْسِهَا وَأَنْعَمُ وَأَدْوَمُ.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَنُفْجَةِ أَرْنَبٍ.

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[6]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

﴿هَذَا﴾[1] إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[2] إِلَى ﴿أَبْقَى﴾[3]، يَعْنِي أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَارِدٌ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ. وَقِيلَ: إِلَى مَا فِي السُّورَةِ كُلِّهَا.

وَرُوِيَ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– "أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ؟ فَقَالَ: مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، مِنْهَا عَلَى آدَمَ: عَشْرُ صُحُفٍ، وَعَلَى شِيثَ: خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى أَخْنُوخَ وَهُوَ إِدْرِيسُ: ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ: عَشْرُ صَحَائِفَ، وَالتَّوْرَاةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالْفُرْقَانُ".

وَقِيلَ: إِنَّ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ: "يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِلِسَانِهِ عَارِفًا بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْأَعْلَى] أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ".

وَكَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، وَكَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولَانِ ذَلِكَ. وَكَانَ يُحِبُّهَا وَقَالَ: أَوَّلُ مِنْ قَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى" مِيكَائِيلُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[سورة الزمر]

]سورة الغاشية[

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا 26
[نَزَلَتْ بَعْدَ الذَّارِيَاتِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[1]

﴿الْغَاشِيَةِ﴾[2]: الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَغْشَى النَّاسَ بِشَدَائِدِهَا وَتُلْبِسُهُمْ أَهْوَالَهَا. يَعْنِي الْقِيَامَةَ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾[3]]الْعَنْكَبُوتِ: 55].

وَقِيلَ: النَّارُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[4]]إِبْرَاهِيمَ: 50[، ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[5]]الْأَعْرَافِ: 41 .[

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[1]

﴿يَوْمَئِذٍ﴾[2]: يَوْمَ إِذْ غُشِيَتْ.

﴿خَاشِعَةٌ﴾[3]: ذَلِيلَةٌ.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[4]: تَعْمَلُ فِي النَّارِ عَمَلًا تَتْعَبُ فِيهِ، وَهُوَ جَرُّهَا السَّلَاسِلَ وَالْأَغْلَالَ، وَخَوْضُهَا فِي النَّارِ كَمَا تَخُوضُ الْإِبِلُ فِي الْوَحْلِ، وَارْتِقَاؤُهَا دَائِبَةً فِي صُعُودٍ مِنْ نَارٍ، وَهُبُوطِهَا فِي حُدُورٍ مِنْهَا.

وَقِيلَ: عَمِلَتْ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالَ السُّوءِ وَالْتَذَّتْ بِهَا وَتَنَعَّمَتْ، فَهِيَ فِي نَصَبٍ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: عَمِلَتْ وَنَصِبَتْ فِي أَعْمَالٍ لَا تُجْدِي عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ. مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾[5]]الْفُرْقَانِ: 23[، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[6]]الْكَهْفِ: 104[، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[7]]آلِ عِمْرَانَ: 222[.

وَقِيلَ: هُمْ أَصْحَابُ الصَّوَامِعِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهَا خَشَعَتْ لِلَّهِ وَعَمِلَتْ وَنَصِبَتْ فِي أَعْمَالِهَا مِنَ الصَّوْمِ الدَّائِبِ، وَالتَّهَجُّدِ الْوَاصِبِ وَقُرِئَ: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ عَلَى الشَّتْمِ.

وَقُرِئَ: تَصْلَى بِفَتْحِ التَّاءِ. وَتُصْلَى بِضَمِّهَا. وَتُصَلَّى بِالتَّشْدِيدِ. وَقِيلَ: الْمُصَلَّى عِنْدَ الْعَرَبِ: أَنْ يَحْفِرُوا حَفِيرًا فَيَجْمَعُوا فِيهِ جَمْرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَى شَاةٍ فَيَدُسُّوهَا وَسَطَهُ، فَأَمَّا مَا يُشْوَى فَوْقَ الْجَمْرِ أَوْ عَلَى الْمَقْلَى أَوْ فِي التَّنُّورِ، فَلَا يُسَمَّى مَصْلِيًّا.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

﴿آنِيَةٍ﴾[1]: مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْحَرِّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[2]]الرَّحْمَنِ: 444].

الضَّرِيعُ يَبِيسُ الشِّبْرِقِ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الشَّوْكِ تَرْعَاهُ الْإِبِلُ مَا دَامَ رَطْبًا، فَإِذَا يَبِسَ تَحَامَتْهُ الْإِبِلُ، وَهُوَ سُمٌّ قَاتِلٌ قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

رَعَى الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى وَعَادَ ضَرِيعًا بَانَ عَنْهُ النَّحَائِصُ

وَقَالَ:

وَحُبِسْنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيعِ فَكُلُّهَا حَدْبَاءُ دَامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرُودُ

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾[3]، وَفِي الْحَاقَّةِ: ﴿وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[4]]الْحَاقَّةِ: 36].

قُلْتُ: الْعَذَابُ أَلْوَانٌ، وَالْمُعَذَّبُونَ طَبَقَاتٌ، فَمِنْهُمْ أَكَلَةُ الزَّقُّومِ وَمِنْهُمْ أَكَلَةُ الْغِسْلِينِ، وَمِنْهُمْ أَكَلَةُ الضَّرِيعِ: لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.

﴿لا يُسْمِنُ﴾[5]: مَرْفُوعُ الْمَحَلِّ أَوْ مَجْرُورُهُ عَلَى وَصْفِ ﴿طَعَامٌ﴾[6]. أَوْ ضَرِيعٌ، يَعْنِي: أَنَّ طَعَامَهُمْ مِنْ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ مَطَاعِمِ الْإِنْسِ، وَإِنَّمَا هُوَ شَوْكٌ وَالشَّوْكُ مِمَّا تَرْعَاهُ الْإِبِلُ وَتَتَوَلَّعُ بِهِ.

وَهَذَا نَوْعٌ مِنْهُ تَنْفِرُ عَنْهُ وَلَا تَقْرَبُهُ. وَمَنْفَعَتَا الْغِذَاءِ مُنْتَفِيَتَانِ عَنْهُ: وَهُمَا إِمَاطَةُ الْجُوعِ، وَإِفَادَةُ الْقُوَّةِ وَالسِّمَنِ فِي الْبَدَنِ. أَوْ أُرِيدَ: أَنْ لَا طَعَامَ لَهُمْ أَصْلًا، لِأَنَّ الضَّرِيعَ لَيْسَ بِطَعَامٍ لِلْبَهَائِمِ فَضْلًا عَنِ الْإِنْسِ، لِأَنَّ الطَّعَامَ مَا أَشْبَعَ أَوْ أَسْمَنَ، وَهُوَ مِنْهُمَا بِمَعْزِلٍ كَمَا تَقُولُ: لَيْسَ لِفُلَانٍ ظِلٌّ إِلَّا الشَّمْسُ، تُرِيدُ: نَفْيَ الظِّلِّ عَلَى التَّوْكِيدِ.

وَقِيلَ: قَالَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: إِنَّ الضَّرِيعَ لَتَسْمَنُ عَلَيْهِ إِبِلُنَا، فَنَزَلَتْ: ﴿لا يُسْمِنُ﴾[7]؛ فَلَا يَخْلُوا إِمَّا أَنْ يَتَكَذَّبُوا وَيَتَعَنَّتُوا بِذَلِكَ، وَهُوَ الظَّاهِرُ؛ فَيُرَدُّ قَوْلُهُمْ بِنَفْيِ السِّمَنِ وَالشِّبَعِ. وَإِمَّا

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

أَنْ يُصَدَّقُوا فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ طَعَامَهُمْ مِنْ ضَرِيعٍ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ ضَرِيعِكُمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ ضَرِيعٍ غَيْرِ مُسْمِنٍ وَلَا مُغْنٍ مِنْ جُوعٍ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[1]

﴿نَاعِمَةٌ﴾[2]: ذَاتُ بَهْجَةٍ وَحُسْنٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[3]]الْمُطَفِّفِينَ: 24]. أَوْ مُتَنَعِّمَةٌ.

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾[4]: رَضِيَتْ بِعَمَلِهَا لِمَا رَأَتْ مَا أَدَّاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالثَّوَابِ، ﴿عَالِيَةٍ﴾[5] مِنْ عُلُوِّ الْمَكَانِ أَوِ الْمِقْدَارِ، ﴿لا تَسْمَعُ﴾[6] يَا مُخَاطَبُ.

أَوِ الْوُجُوهُ، ﴿لاغِيَةً﴾[7]، أَيْ: لَغْوًا، أَوْ كَلِمَةً ذَاتَ لَغْوٍ. أَوْ نَفْسًا تَلْغُو، لَا يَتَكَلَّمُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِالْحِكْمَةِ، وَحَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ.

وَقُرِئَ: تُسْمَعُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾[8]، يُرِيدُ: عُيُونًا فِي غَايَةِ الْكَثْرَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾[9]]التَّكْوِيرِ: 14.[

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .
[9] سورة ، الآية .

﴿مَرْفُوعَةٌ﴾[1]: مِنْ رِفْعَةِ الْمِقْدَارِ أَوِ السُّمْكِ، لِيَرَى الْمُؤْمِنُ بِجُلُوسِهِ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا خَوَّلَهُ رَبُّهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالنَّعِيمِ.

وَقِيلَ: مَخْبُوءَةٌ لَهُمْ، مِنْ رَفَعَ الشَّيْءَ إِذَا خَبَّأَهُ.

﴿مَوْضُوعَةٌ﴾[2]: كُلَّمَا أَرَادُوهَا وَجَدُوهَا مَوْضُوعَةً بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَتِيدَةً حَاضِرَةً، لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَنْ يَدْعُوا بِهَا. أَوْ مَوْضُوعَةً عَلَى حَافَاتِ الْعُيُونِ مُعَدَّةً لِلشُّرْبِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: مَوْضُوعَةً عَنْ حَدِّ الْكِبَارِ، أَوْسَاطَ بَيْنَ الصِّغَرِ وَالْكِبَرِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[3]]الْإِنْسَانِ: 16.[

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾[4]: بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ. مَسَانِدَ وَمَطَارِحَ، أَيْنَمَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى مُسَوَّرَةٍ وَاسْتَنَدَ إِلَى أُخْرَى.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾[5]: وَبُسُطٌ عِرَاضٌ فَاخِرَةٌ.

وَقِيلَ: هِيَ الطَّنَافِسُ الَّتِي لَهَا خَمَلٌ رَقِيقٌ. جَمْعُ زِرْبِيَّةٍ.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾[6]: مَبْسُوطَةٌ أَوْ مُفَرَّقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[7]

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾[1]: نَظَرَ اعْتِبَارٍ، ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[2]: خَلْقًا عَجِيبًا، دَالًّا عَلَى تَقْدِيرِ مُقَدِّرٍ، شَاهِدًا بِتَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ، حَيْثُ خَلَقَهَا لِلنُّهُوضِ بِالْأَثْقَالِ وَجَرِّهَا إِلَى الْبِلَادِ الشَّاحِطَةِ فَجَعَلَهَا تَبْرُكُ حَتَّى تَحْمِلَ عَنْ قُرْبٍ وَيُسْرٍ، ثُمَّ تَنْهَضُ بِمَا حَمَلَتْ، وَسَخَّرَهَا مُنْقَادَةً لِكُلِّ مَنِ اقْتَادَهَا بِأَزِمَّتِهَا: لَا تُعَازُّ ضَعِيفًا وَلَا تُمَانِعُ صَغِيرًا، وَبَرَأَهَا طِوَالَ الْأَعْنَاقِ لِتَنُوءَ بِالْأَوْقَارِ.

وَعَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ. أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ الْبَعِيرِ وَبَدِيعِ خَلْقِهِ، وَقَدْ نَشَأَ فِي بِلَادٍ لَا إِبِلَ بِهَا، فَفَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَنْ تَكُونَ طِوَالَ الْأَعْنَاقِ، وَحِينَ أَرَادَ بِهَا أَنْ تَكُونَ سَفَائِنَ الْبَرِّ صَبَّرَهَا عَلَى احْتِمَالِ الْعَطَشِ، حَتَّى إِنَّ أَظْمَاءَهَا لِتَرْتَفِعُ إِلَى الْعَشْرِ فَصَاعِدًا، وَجَعَلَهَا تَرْعَى كُلَّ شَيْءٍ نَابِتٍ فِي الْبَرَارِي وَالْمَفَاوِزِ مِمَّا لَا يَرْعَاهُ سَائِرُ الْبَهَائِمِ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: لَقِيتُ شُرَيْحًا الْقَاضِيَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ الْكُنَاسَةَ: قُلْتُ: وَمَا تَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: أَنْظُرُ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ حَسُنَ ذِكْرُ الْإِبِلِ مَعَ السَّمَاءِ وَالْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَلَا مُنَاسَبَةَ؟

قُلْتُ: قَدِ انْتَظَمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ نَظَرُ الْعَرَبِ فِي أَوْدِيَتِهِمْ وَبَوَادِيهِمْ، فَانْتَظَمَهَا الذِّكْرُ عَلَى حَسَبِ مَا انْتَظَمَهَا نَظَرُهُمْ، وَلَمْ يَدَّعِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِبِلَ السَّحَابُ إِلَى قَوْلِهِ: إِلَّا طَلَبُ الْمُنَاسَبَةِ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرِدْ أَنَّ الْإِبِلَ مِنْ أَسْمَاءِ السَّحَابِ، كَالْغَمَامِ وَالْمُزْنِ وَالرَّبَابِ وَالْغَيْمِ وَالْغَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا رَأَى السَّحَابَ مُشَبَّهًا بِالْإِبِلِ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِهِمْ، فَجُوِّزَ أَنْ يُرَادَ بِهَا السَّحَابُ عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ.

﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[3] رَفْعًا بَعِيدَ الْمَدَى بِلَا مِسَاكٍ وَبِغَيْرِ عَمَدٍ.

﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[4] نَصْبًا ثَابِتًا، فَهِيَ رَاسِخَةٌ لَا تَمِيلُ وَلَا تَزُولُ وَ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[5]: سَطْحًا بِتَمْهِيدٍ وَتَوْطِئَةٍ، فَهِيَ مِهَادٌ لِلْمُتَقَلِّبِ عَلَيْهَا.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: خَلَقْتُ وَرَفَعْتُ وَنَصَبْتُ، وَسَطَحْتُ: عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَتَاءِ الضَّمِيرِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَعَلْتُهَا. فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ.

وَعَنْ هَارُونَ الرَّشِيدِ أَنَّهُ قَرَأَ: "سُطِّحَتْ" بِالتَّشْدِيدِ.

وَالْمَعْنَى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّاهِدَةِ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ، حَتَّى لَا يُنْكِرُوا اقْتِدَارَهُ عَلَى الْبَعْثِ، فَيَسْمَعُوا إِنْذَارَ الرَّسُولِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَسْتَعِدُّوا لِلِقَائِهِ. أَيْ: لَا يَنْظُرُونَ، فَذَكِّرْهُمْ وَلَا تُلِحُّ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَهُمَّنَّكَ أَنَّهُمْ لَا يَنْظُرُونَ وَلَا يَذْكُرُونَ .

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[1] كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ﴾[2]]الشُّورَى: 48]. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ بِمُتَسَلِّطٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾[3]]ق: 45].

وَقِيلَ: هُوَ فِي لُغَةِ تَمِيمٍ مَفْتُوحُ الطَّاءِ، عَلَى أَنَّ "سَيْطَرَ" مُتَعَدٍّ عِنْدَهُمْ. وَقَوْلُهُمْ: تُسَيْطِرُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ.

﴿إِلاّ مَنْ تَوَلَّى﴾[4] اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، أَيْ: لَسْتَ بِمُسْتَوْلٍ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ مَنْ تَوَلَّى، ﴿وَكَفَرَ﴾[5] مِنْهُمْ، فَإِنَّ لِلَّهِ الْوِلَايَةَ وَالْقَهْرَ.

فَهُوَ يُعَذِّبُهُ ﴿الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾[6] الَّذِي هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَذَكِّرْ﴾[7]، أَيْ: فَذَكِّرْ إِلَّا مَنِ انْقَطَعَ طَمَعُكَ مِنْ إِيمَانِهِ وَتَوَلَّى، فَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ.

وَقُرِئَ: إِلَّا مَنْ تَوَلَّى عَلَى التَّنْبِيهِ.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ. وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدَنِيُّ: إِيَّابَهُمْ بِالتَّشْدِيدِ.

وَوَجْهُهُ: أَنْ يَكُونَ "فِيعَالًا" مَصْدَرَ "أَيَبَ" فَيْعَلٍ مِنَ الْإِيَابِ. أَوْ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ أَوَّابًا: فَعَّالًا مِنْ أَوَّبَ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

ثُمَّ قِيلَ: إِيوَابًا كَدِيوَانٍ فِي دَوَّانٍ، ثُمَّ فُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ بِأَصْلِ: سَيِّدٍ وَمَيِّتٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى تَقْدِيمِ الظَّرْفِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ التَّشْدِيدُ فِي الْوَعِيدِ، وَأَنَّ إِيَابَهُمْ لَيْسَ إِلَّا إِلَى الْجَبَّارِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الِانْتِقَامِ، وَأَنَّ حِسَابَهُمْ لَيْسَ بِوَاجِبٍ إِلَّا عَلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ.

وَمَعْنَى الْوُجُوبِ: الْوُجُوبُ فِي الْحِكْمَةِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْغَاشِيَةِ] حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا".

[سُورَةُ الْفَجْرِ]

]سُورَةُ الْفَجْرِ[

مَكِّيَّةٌ،

وَآيَاتُهَا 30 وَقِيلَ: 29

[نَزَلَتْ بَعْدَ اللَّيْلِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾[1]

أَقْسَمَ بِالْفَجْرِ كَمَا أَقْسَمَ بِالصُّبْحِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[2]]الْمُدَّثِّرِ: 34.[﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[3]]التَّكْوِيرِ: 18]. وَقِيلَ: بِصَلَاةِ الْفَجْرِ. أَرَادَ بِاللَّيَالِي الْعَشْرِ: عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا بَالُهَا مُنَكَّرَةً مِنْ بَيْنِ مَا أَقْسَمَ بِهِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهَا لَيَالٍ مَخْصُوصَةٌ مِنْ بَيْنِ جِنْسِ اللَّيَالِي: الْعَشْرُ بَعْضٌ مِنْهَا. أَوْ مَخْصُوصَةٌ بِفَضِيلَةٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا عُرِّفَتْ بِلَامِ الْعَهْدِ، لِأَنَّهَا لَيَالٍ مَعْلُومَةٌ مَعْهُودَةٌ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

قُلْتُ: لَوْ فُعِلَ ذَلِكَ لَمْ تَسْتَقِلَّ بِمَعْنَى الْفَضِيلَةِ الَّذِي فِي التَّنْكِيرِ، وَلِأَنَّ الْأَحْسَنَ أَنْ تَكُونَ اللَّامَاتُ مُتَجَانِسَةً، لِيَكُونَ الْكَلَامُ أَبْعَدَ مِنَ الْأَلْغَازِ وَالتَّعْمِيَةِ، وَبِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: إِمَّا الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا شَفْعُهَا وَوَتْرُهَا، وَإِمَّا شَفْعُ هَذِهِ اللَّيَالِي وَوَتْرُهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَفْعُهَا يَوْمَ النَّحْرِ، وَوَتْرُهَا يَوْمَ عَرَفَةَ، لِأَنَّهُ تَاسِعُ أَيَّامِهَا وَذَاكَ عَاشِرُهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ فَسَّرَهُمَا بِذَلِكَ. وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ حَتَّى كَادُوا يَسْتَوْعِبُونَ أَجْنَاسَ مَا يَقَعَانِ فِيهِ، وَذَلِكَ قَلِيلُ الطَّائِلِ، جَدِيرٌ بِالتَّلَهِّي عَنْهُ، وَبَعْدَ مَا أَقْسَمَ بِاللَّيَالِي الْمَخْصُوصَةِ أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ عَلَى الْعُمُومِ.

﴿إِذَا يَسْرِ﴾[1]: إِذَا يَمْضِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[2]]الْمُدَّثِّرِ: 33[، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[3]]التَّكْوِيرِ: 177].

وَقُرِئَ: "وَالْوَتْرِ" بِفَتْحِ الْوَاوِ، وَهُمَا لُغَتَانِ كَالْحَبْرِ وَالْحِبْرِ فِي الْعَدَدِ.

وَفِي التِّرَةِ: الْكَسْرُ وَحْدَهُ. وَقُرِئَ: الْوَتِرِ بِفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ التَّاءِ: رَوَاهَا يُونُسُ عَنْ أَبِي عَمْرٍو.

وَقُرِئَ: "وَالْفَجْرِ" وَالْوَتْرِ، وَيَسْرٍ: بِالتَّنْوِينِ، وَهُوَ التَّنْوِينُ الَّذِي يَقَعُ بَدَلًا مِنْ حَرْفِ الْإِطْلَاقِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَلَيَالِ عَشْرٍ، بِالْإِضَافَةِ يُرِيدُ: وَلَيَالِ أَيَّامِ عَشْرٍ.

وَيَاءُ ﴿يَسْرِ﴾[4] تُحْذَفُ فِي الدَّرَجِ، اكْتِفَاءً عَنْهَا بِالْكَسْرَةِ. وَأَمَّا فِي الْوَقْفِ، فَتُحْذَفُ مَعَ الْكَسْرَةِ.

وَقِيلَ: مَعْنَى "يَسْرِي": يُسْرَى فِيهِ.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾[5]، أَيْ: فِيمَا أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، ﴿قَسَمٌ﴾[6]، أَيْ: مُقْسَمٌ بِهِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

"ذِي حِجْرٍ"، يُرِيدُ: هَلْ يَحِقُّ عِنْدَهُ أَنْ تُعَظَّمَ بِالْإِقْسَامِ بِهَا. أَوْ: هَلْ فِي إِقْسَامِي بِهَا إِقْسَامٌ لِذِي حِجْرٍ، أَيْ: هَلْ هُوَ قَسَمٌ عَظِيمٌ يُؤَكَّدُ بِمِثْلِهِ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ.

وَالْحِجْرُ: الْعَقْلُ، لِأَنَّهُ يَحْجُرُ عَنِ التَّهَافُتِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي، كَمَا سُمِّيَ عَقْلًا وَنُهْيَةً، لِأَنَّهُ يَعْقِلُ وَيَنْهَى. وَحَصَاةً: مِنَ الْإِحْصَاءِ، وَهُوَ الضَّبْطُ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ: إِنَّهُ لَذُو حِجْرٍ، إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِنَفْسِهِ ضَابِطًا لَهَا، وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ؛ وَهُوَ "لَيُعَذَّبَنَّ" يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[1]]الْبَقَرَةِ: 243]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[2]]الْفَجْرِ: 13.[

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[3]

قِيلَ لِعَقِبِ عَادِ بْنِ عُوصِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ: عَادٌ، كَمَا يُقَالُ لِبَنِي هَاشِمٍ: هَاشِمٌ.

ثُمَّ قِيلَ لِلْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ عَادٌ الْأُولَى وَإِرَمُ، تَسْمِيَةً لَهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ، وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ: عَادٌ الْأَخِيرَةُ.

قَالَ ابْنُ الرُّقَيَّاتِ:

مَجْدًا تَلِيدًا بِنَاهُ أَوَّلُهُ أَدْرَكَ عَادًا وَقَبْلَهَا إِرَمَا

فَإِرَمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِعَادٍ إِرَمَ﴾[4]: عَطْفُ بَيَانٍ لِعَادٍ، وَإِيذَانٌ بِأَنَّهُمْ عَادٌ الْأُولَى الْقَدِيمَةُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

وَقِيلَ: ﴿إِرَمَ﴾[1]: بَلْدَتُهُمْ وَأَرْضُهُمُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ "بِعَادِ إِرَمَ" عَلَى الْإِضَافَةِ وَتَقْدِيرُهُ: بِعَادِ أَهْلِ إِرَمَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]]يُوسُفَ: 822]. وَلَمْ تَنْصَرِفْ قَبِيلَةٌ كَانَتْ أَوْ أَرْضًا لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "بِعَادَ أَرَمَ"، مَفْتُوحَتَيْنِ. وَقُرِئَ: بِعَادِ إِرْمَ بِسُكُونِ الرَّاءِ عَلَى التَّخْفِيفِ، كَمَا قُرِئَ: "بِوَرْقِكُمْ".

وَقُرِئَ: بِعَادِ إِرَمِ ذَاتِ الْعِمَادِ، بِإِضَافَةِ إِرَمَ إِلَى ذَاتِ الْعِمَادِ.

وَالْإِرَمُ: الْعَلَمُ، يَعْنِي: بِعَادٍ أَهْلِ أَعْلَامِ ذَاتِ الْعِمَادِ.

وَ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[3]: اسْمُ الْمَدِينَةِ. وَقُرِئَ: "بِعَادٍ إِرَمَّ ذَاتَ الْعِمَادِ"، أَيْ: جَعَلَ اللَّهُ ذَاتَ الْعِمَادِ رَمِيمًا بَدَلًا مِنْ فِعْلِ رَبِّكَ، وَذَاتِ الْعِمَادِ إِذَا كَانَتْ صِفَةً لِلْقَبِيلَةِ.

فَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَانُوا بَدَوِيِّينَ أَهْلَ عُمُدٍ، أَوْ طِوَالَ الْأَجْسَامِ عَلَى تَشْبِيهِ قُدُودِهِمْ بِالْأَعْمِدَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: رَجُلٌ مُعَمَّدٌ وَعَمَّدَانٌ: إِذَا كَانَ طَوِيلًا.

وَقِيلَ: ذَاتُ الْبَنَّاءِ الرَّفِيعِ، وَإِنْ كَانَتْ صِفَةً لِلْبَلْدَةِ فَالْمَعْنَى: أَنَّهَا ذَاتُ أَسَاطِينَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادٍ ابْنَانِ: شَدَّادٌ وَشَدِيدٌ، فَمَلَكَا وَقَهَرَا، ثُمَّ مَاتَ شَدِيدٌ وَخَلُصَ الْأَمْرُ لِشَدَّادٍ، فَمَلَكَ الدُّنْيَا وَدَانَتْ لَهُ مُلُوكُهَا، فَسَمِعَ بِذِكْرِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: أَبْنِي مِثْلَهَا، فَبَنَى إِرَمَ فِي بَعْضِ صَحَارِي عَدَنَ فِي ثَلَثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ عُمْرُهُ تِسْعَمِائَةِ سَنَةٍ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَسَاطِينُهَا مِنَ الزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ. وَفِيهَا أَصْنَافُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ.

وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا، سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَلَمَّا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً مِنَ السَّمَاءِ فَهَلَكُوا.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُلَابَةَ :أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِمَّا ثَمَّ، وَبَلَغَ خَبَرُهُ مُعَاوِيَةَ فَاسْتَحْضَرَهُ، فَقَصَّ عَلَيْهِ؛ فَبَعَثَ إِلَى كَعْبٍ، فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ: هِيَ إِرَمُ ذَاتُ الْعِمَادِ، وَسَيَدْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِكَ أَحْمَرُ أَشْقَرُ قَصِيرٌ عَلَى

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عَقِبِهِ خَالٌ، يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ؛ ثُمَّ الْتَفَتَ، فَأَبْصَرَ ابْنَ قُلَابَةَ فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ.

﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾[1] مِثْلُ عَادٍ ﴿فِي الْبِلادِ﴾[2] عِظَمَ أَجْرَامٍ وَقُوَّةً، كَانَ طُولُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ ذِرَاعٍ؛ وَكَانَ يَأْتِي الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ، فَيَحْمِلُهَا فَيُلْقِيهَا عَلَى الْحَيِّ فَيُهْلِكَهُمْ، أَوْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ مَدِينَةِ شَدَّادٍ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الدُّنْيَا.

وَقَرَأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: "لَمْ يَخْلُقْ مَلْثَهَا"، أَيْ: لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِثْلَهَا.

﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾[3]: قَطَعُوا صَخْرَ الْجِبَالِ وَاتَّخَذُوا فِيهَا بُيُوتًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[4]]الشُّعَرَاءِ: 149].

قِيلَ :أَوَّلُ مَنْ نَحَتَ الْجِبَالَ وَالصُّخُورَ وَالرُّخَامَ: ثَمُودُ، وَبَنَوْا أَلْفًا وَسَبْعَمِائَةِ مَدِينَةٍ كُلُّهَا مِنَ الْحِجَارَةِ.

قِيلَ لَهُ: ذُو الْأَوْتَادِ، لِكَثْرَةِ جُنُودِهِ وَمَضَارِبِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَضْرِبُونَهَا إِذَا نَزَلُوا، أَوْ لِتَعْذِيبِهِ بِالْأَوْتَادِ، كَمَا فَعَلَ بِمَاشِطَةِ بِنْتِهِ وَبِآسِيَةَ.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾[5]: أَحْسَنُ الْوُجُوهِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الذَّمِّ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا عَلَى: هُمُ الَّذِينَ طَغَوْا أَوْ مَجْرُورًا عَلَى وَصْفِ الْمَذْكُورِينَ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ. يُقَالُ: صَبَّ عَلَيْهِ السَّوْطَ وَغَشَّاهُ وَقَنَّعَهُ، وَذَكَرَ السَّوْطَ: إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَا أَحَلَّهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَالسَّوْطِ إِذَا قِيسَ إِلَى سَائِرِ مَا يُعَذَّبُ بِهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ: كَانَ الْحَسَنُ إِذَا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَسْوَاطًا كَثِيرَةً، فَأَخَذَهُمْ بِسَوْطٍ مِنْهَا.

الْمِرْصَادُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَتَرَتَّبُ فِيهِ الرَّصَدُ. "مِفْعَالٌ" مِنْ رَصَدَهُ. كَالْمِيقَاتِ مِنْ وَقَّتَهُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

وَهَذَا مَثَلٌ لِإِرْصَادِهِ الْعُصَاةَ بِالْعِقَابِ وَأَنَّهُمْ لَا يَفُوتُونَهُ. وَعَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَيْنَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: بِالْمِرْصَادِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ –رَحِمَهُ اللَّهُ– أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ عِنْدَ بَعْضِ الظَّلَمَةِ حَتَّى بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ يَا فُلَانُ، عَرَّضَ لَهُ فِي هَذَا النِّدَاءِ بِأَنَّهُ بَعْضُ مَنْ تُوُعِّدَ بِذَلِكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَلِلَّهِ دَرُّهُ، أَيُّ أَسَدٍ فَرَّاسٍ كَانَ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ، يَدُقُّ الظَّلَمَةَ بِإِنْكَارِهِ، وَيَقْصَعُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ بِاحْتِجَاجِهِ.

﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ﴾[2]؟

قُلْتُ: بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[3]، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا الطَّاعَةَ وَالسَّعْيَ لِلْعَاقِبَةِ، وَهُوَ مُرْصِدٌ بِالْعُقُوبَةِ لِلْعَاصِي. فَأَمَّا الْإِنْسَانُ، فَلَا يُرِيدُ ذَلِكَ وَلَا يَهُمُّهُ إِلَّا الْعَاجِلَةُ وَمَا يُلِذُّهُ وَيُنَعِّمُهُ فِيهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ تُوَازِنُ قَوْلَهُ، فَأَمَّا الْإِنْسَانُ، ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾[4]، وَقَوْلَهُ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ﴾[5]؟ وَحَقُّ التَّوَازُنِ أَنْ يَتَقَابَلَ الْوَاقِعَانِ بَعْدَ أَمَّا وَأَمَّا، تَقُولُ: أَمَّا الْإِنْسَانُ فَكَفُورٌ، وَأَمَّا الْمَلَكُ فَشَكُورٌ. أَمَّا إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى زَيْدٍ، فَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْكَ؛ وَأَمَّا إِذَا أَسَأْتَ إِلَيْهِ، فَهُوَ مُسِيءٌ إِلَيْكَ؟

قُلْتُ: هُمَا مُتَوَازِنَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ التَّقْدِيرَ: وَأَمَّا هُوَ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[6] خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ، وَدُخُولُ الْفَاءِ لِمَا فِي "أَمَّا"

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .

مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَالظَّرْفُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي تَقْدِيرِ التَّأْخِيرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَقَائِلٌ: رَبِّي أَكْرَمَنِ وَقْتَ الِابْتِلَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ﴿فَيَقُولُ﴾[1] الثَّانِي خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ وَاجِبٍ تَقْدِيرُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ سُمِّيَ كِلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ بَسْطِ الرِّزْقِ وَتَقْدِيرِهِ ابْتِلَاءً؟

قُلْتُ: لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا اخْتِبَارٌ لِلْعَبْدِ. فَإِذَا بُسِطَ لَهُ، فَقَدِ اخْتَبَرَ حَالَهُ أَيَشْكُرُ أَوْ يَكْفُرُ؟ وَإِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَقَدِ اخْتَبَرَ حَالَهُ أَيَصْبِرُ أَمْ يَجْزَعُ؟ فَالْحِكْمَةُ فِيهِمَا وَاحِدٌ. وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2]]الْأَنْبِيَاءِ: 355].

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قَالَ: فَأَهَانَهُ وَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، كَمَا قَالَ: فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْبَسْطَ إِكْرَامٌ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ مُتَفَضِّلًا مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ. وَأَمَّا التَّقْدِيرُ، فَلَيْسَ بِإِهَانَةٍ لَهُ، لِأَنَّ الْإِخْلَالَ بِالتَّفَضُّلِ لَا يَكُونُ إِهَانَةً، وَلَكِنْ تَرْكًا لِلْكَرَامَةِ؛ وَقَدْ يَكُونُ الْمَوْلَى مُكْرِمًا لِعَبْدِهِ وَمُهِينًا لَهُ، وَغَيْرَ مُكْرِمٍ وَلَا مُهِينٍ. وَإِذَا أَهْدَى لَكَ زَيْدٌ هَدِيَّةً، قُلْتَ: أَكْرَمَنِي بِالْهَدِيَّةِ، وَلَا تَقُولُ: أَهَانَنِي، وَلَا أَكْرَمَنِي إِذَا لَمْ يُهْدِ لَكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ قَالَ: ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾[3]: فَصَحَّحَ إِكْرَامَهُ وَأَثْبَتَهُ، ثُمَّ أَنْكَرَ قَوْلَهُ: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾[4] وَذَمَّهُ عَلَيْهِ، كَمَا أَنْكَرَ قَوْلَهُ: ﴿أَهَانَنِ﴾[5]، وَذَمَّهُ عَلَيْهِ.

قُلْتُ: فِيهِ جَوَابَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِنَّمَا أَنْكَرَ قَوْلَهُ: رَبِّي أَكْرَمَنِ وَذَمَّهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ قَالَ عَلَى قَصْدِ خِلَافِ مَا صَحَّحَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَثْبَتَهُ، وَهُوَ قَصْدُهُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مَا أَعْطَاهُ إِكْرَامًا لَهُ مُسْتَحِقًّا مُسْتَوْجِبًا عَلَى عَادَةِ افْتِخَارِهِمْ وَجَلَالَةِ أَقْدَارِهِمْ عِنْدَهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[6]]الْقَصَصِ: 788[.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِ التَّفَضُّلِ مِنْ غَيْرِ اسْتِيجَابٍ مِنْهُ لَهُ وَلَا سَابِقَةِ مَا لَا يَعْتَدُّ اللَّهُ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ التَّقْوَى دُونَ الْأَنْسَابِ وَالْأَحْسَابِ الَّتِي كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِهَا وَيَرَوْنَ اسْتِحْقَاقَ الْكَرَامَةِ مِنْ أَجْلِهَا .

– وَالثَّانِي: أَنْ يَنْسَاقَ الْإِنْكَارُ وَالذَّمُّ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾[1]، يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا تُفُضِّلَ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَأُكْرِمَ بِهِ اعْتَرَفَ بِتَفَضُّلِ اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ. وَإِذَا لَمْ يُتَفَضَّلْ عَلَيْهِ، سَمَّى تَرْكَ التَّفَضُّلِ هَوَانًا وَلَيْسَ بِهَوَانٍ.

وَيُعَضِّدُ هَذَا الْوَجْهَ: ذِكْرُ الْإِكْرَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾[2].

وَقُرِئَ: فَقَدَرَ، بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ وَأَكْرَمَنْ، وَأَهَانَنْ: بِسُكُونِ النُّونِ فِي الْوَقْفِ، فِيمَنْ تَرَكَ الْيَاءَ فِي الدَّرَجِ مُكْتَفِيًا مِنْهَا بِالْكَسْرَةِ.

﴿كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[3]

﴿كَلا﴾[4]: رَدْعٌ لِلْإِنْسَانِ عَنْ قَوْلِهِ: ثُمَّ قَالَ: بَلْ هُنَاكَ شَرٌّ مِنَ الْقَوْلِ. وَهُوَ: أَنَّ اللَّهَ يُكْرِمُهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، فَلَا يُؤَدُّونَ مَا يَلْزَمُهُمْ فِيهِ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ بِالتَّفَقُّدِ وَالْمَبَرَّةِ. وَحَضِّ أَهْلِهِ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَيَأْكُلُونَهُ أَكْلَ الْأَنْعَامِ، وَيُحِبُّونَهُ، فَيَشِحُّونَ بِهِ.

وَقُرِئَ: يُكْرِمُونَ وَمَا بَعْدَهُ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ. وَقُرِئَ: تَحَاضُّونَ؛ أَيْ: يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَلَا تُحَاضُّونَ بِضَمِّ التَّاءِ، مِنَ الْمُحَاضَّةِ.

﴿أَكْلا لَمًّا﴾[5] ذَا لَمٍّ وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

قَالَ الْحَطِيئَةُ:

إِذَا كَانَ لَمًّا يَتْبَعُ الذَّمُّ أَهْلَهُ فَلَا قَدَّسَ الرَّحْمَنُ تِلْكَ الطَّوَاحِنَا

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ فِي أَكْلِهِمْ بَيْنَ نَصِيبِهِمْ مِنَ الْمِيرَاثِ وَنَصِيبِ غَيْرِهِمْ.

وَقِيلَ: كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الصِّبْيَانَ، وَيَأْكُلُونَ تُرَاثَهُمْ مَعَ تُرَاثِهِمْ.

وَقِيلَ: يَأْكُلُونَ مَا جَمَعَهُ الْمَيِّتُ مِنَ الظَّلَمَةِ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ فَيَلُمُّ فِي الْأَكْلِ بَيْنَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُذَمَّ الْوَارِثُ الَّذِي ظَفِرَ بِالْمَالِ سَهْلًا مَهْلًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرَقَ فِيهِ جَبِينُهُ، فَيُسْرِفَ فِي إِنْفَاقِهِ، وَيَأْكُلَهُ أَكْلًا وَاسِعًا جَامِعًا بَيْنَ أَلْوَانِ الْمُشْتَهِيَاتِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْفَوَاكِهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْوُرَّاثُ الْبَطَّالُونَ.

﴿حُبًّا جَمًّا﴾[1]: كَثِيرًا شَدِيدًا مَعَ الْحِرْصِ وَالشَّرَهِ وَمَنْعِ الْحُقُوقِ.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[2]

﴿كَلَّا﴾[3] رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْكَارٌ لِفِعْلِهِمْ.

ثُمَّ أَتَى بِالْوَعِيدِ، وَذَكَرَ تَحَسُّرَهُمْ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ حِينَ لَا تَنْفَعُ الْحَسْرَةُ.

وَ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[4] بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ﴾[5]، وَعَامِلُ النَّصْبِ فِيهِمَا:: ﴿يَتَذَكَّرُ دَكًّا دَكًّا﴾[6]: دَكًّا بَعْدَ دَكٍّ. كَقَوْلِهِ: حَسِبْتُهُ بَابًا بَابًا، أَيْ: كُرِّرَ عَلَيْهَا الدَّكُّ حَتَّى عَادَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى إِسْنَادِ الْمَجِيءِ إِلَى اللَّهِ، وَالْحَرَكَةُ وَالِانْتِقَالُ إِنَّمَا يَجُوزَانِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي جِهَةٍ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ تَمْثِيلٌ لِظُهُورِ آيَاتِ اقْتِدَارِهِ وَتَبَيُّنِ آثَارِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ: مُثِّلَتْ حَالُهُ فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ عَسَاكِرِهِ كُلِّهَا وَوُزَرَائِهِ وَخَوَاصِّهِ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾[1]: يَنْزِلُ مَلَائِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ، فَيَصْطَفُّونَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ مُحْدِقِينَ بِالْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[2] كَقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[3] [الْإِسْرَاءِ: 15].

وَرُوِيَ: أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَأَخْبَرُوا عَلِيًّا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَجَاءَ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَاتِقَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا الَّذِي حَدَّثَ الْيَوْمَ، مَا الَّذِي غَيَّرَكَ؟ فَتَلَا عَلَيْهِ الْآيَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: كَيْفَ يُجَاءُ بِهَا؟ قَالَ: يَجِيءُ بِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَقُودُونَهَا بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، فَتَشْرُدُ شَرْدَةً لَوْ تُرِكَتْ لَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْجَمْعِ .أَيْ: يَتَذَكَّرُ مَا فَرَّطَ فِيهِ، أَوْ يَتَّعِظُ.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾[4]: وَمِنْ أَيْنَ لَهُ مَنْفَعَةُ الذِّكْرَى، لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، وَإِلَّا فَبَيْنَ: "يَوْمَ يَتَذَكَّرُ"، وَبَيْنَ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾[5] تَنَافٍ وَتَنَاقُضٌ.

﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[6] هَذِهِ، وَهِيَ حَيَاةُ الْآخِرَةِ، أَوْ وَقْتَ حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا، كَقَوْلِكَ: جِئْتُهُ لِعَشْرٍ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ، وَهَذَا أَبْيَنُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الِاخْتِيَارَ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَمُعَلَّقًا بِقَصْدِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَحْجُوبِينَ عَنِ الطَّاعَاتِ مُجْبَرِينَ عَلَى الْمَعَاصِي، كَمَذْهَبِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَإِلَّا فَمَا مَعْنَى التَّحَسُّرِ؟ قُرِئَ: بِالْفَتْحِ يُعَذَّبُ وَيُوَثَّقُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ رَجَعَ إِلَيْهَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ. وَالضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ الْمَوْصُوفِ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .

وَقِيلَ: هُوَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ أَيْ: لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِثْلَ عَذَابِهِ، وَلَا يُوثَقُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ مِثْلَ وَثَاقِهِ، لِتَنَاهِيهِ فِي كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ، أَوْ لَا يَحْمِلُ عَذَابَ الْإِنْسَانِ أَحَدٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[1]الْإِسْرَاءِ:155].

وَقُرِئَ بِالْكَسْرِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ –تَعَالَى–، أَيْ: لَا يَتَوَلَّى عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ، لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. أَوْ لِلْإِنْسَانِ، أَيْ: لَا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مِنَ الزَّبَانِيَةِ مِثْلَ مَا يُعَذِّبُونَهُ.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾[2]

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ﴾[3] عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَيْ: يَقُولُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ﴾[4] إِمَّا أَنْ يُكَلِّمَهُ إِكْرَامًا لَهُ ،كَمَا كَلَّمَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ مَلَكٍ.

وَ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[5] الْآمِنَةُ الَّتِي لَا يَسْتَفِزُّهَا خَوْفٌ وَلَا حُزْنٌ، وَهِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ أَوِ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى الْحَقِّ الَّتِي سَكَنَهَا ثَلْجُ الْيَقِينِ، فَلَا يُخَالِجُهَا شَكٌّ.

وَيَشْهَدُ لِلتَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، قِرَاءَةُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْآمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ".

فَإِنْ قُلْتَ: مَتَى يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ؟ قُلْتُ: إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ. وَإِمَّا عِنْدَ الْبَعْثِ، وَإِمَّا عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ. عَلَى مَعْنَى: ارْجِعِي إِلَى مَوْعِدِ رَبِّكِ.

﴿ رَاضِيَةً﴾[6] بِمَا أُوتِيتِ، ﴿مَرْضِيَّةً﴾[7] عِنْدَ اللَّهِ.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾[8]: فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ، وَانْتَظِمِي فِي سِلْكِهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1] مَعَهُمْ، وَقِيلَ: النَّفْسُ الرُّوحُ. وَمَعْنَاهُ: فَادْخُلِي فِي أَجْسَادِ عِبَادِي.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَادْخُلِي فِي عَبْدِي"، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "فِي جَسَدِ عَبْدِي".

وَقَرَأَ أُبَيٌّ: "ائْتِي رَبَّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، ادْخُلِي فِي عَبْدِي". وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَقِيلَ: فِي خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ الَّذِي صَلَبَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَجَعَلُوا وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ خَيْرٌ فَحَوِّلْ وَجْهِي نَحْوَ قِبْلَتِكَ، فَحَوَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ نَحْوَهَا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُحَوِّلَهُ، وَالظَّاهِرُ الْعُمُومُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الْفَجْرِ] فِي اللَّيَالِي الْعَشْرِ غُفِرَ لَهُ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

[1] سورة ، الآية .

[سُورَةُ الْبَلَدِ]

[سُورَةُ البَلَدِ]

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ
[نَزَلَتْ بَعْدَ ق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[1]

أَقْسَمَ –سُبْحَانَهُ– بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مَغْمُورًا فِي مُكَابَدَةِ الْمَشَاقِّ وَالشَّدَائِدِ، وَاعْتَرَضَ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[2]، يَعْنِي: وَمِنَ الْمُكَابَدَةِ أَنَّ مِثْلَكَ عَلَى عِظَمِ حُرْمَتِكَ يُسْتَحَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ كَمَا يُسْتَحَلُّ الصَّيْدُ فِي غَيْرِ الْحَرَمِ.

عَنْ شُرَحْبِيلَ: يُحَرِّمُونَ أَنْ يَقْتُلُوا بِهَا صَيْدًا وَيُعَضِّدُوا بِهَا شَجَرَةً، وَيَسْتَحِلُّونَ إِخْرَاجَكَ وَقَتْلَكَ، وَفِيهِ تَثْبِيتٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَبَعْثٌ عَلَى احْتِمَالِ مَا كَانَ يُكَابِدُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَتَعْجِيبٌ مِنْ حَالِهِمْ فِي عَدَاوَتِهِ، أَوْ سَلَّى رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– بِالْقَسَمِ بِبَلَدِهِ، عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنْ مُقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ،

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَاعْتُرِضَ بِأَنْ وَعَدَهُ فَتْحَ مَكَّةَ تَتْمِيمًا لِلتَّسْلِيَةِ وَالتَّنْفِيسِ عَنْهُ. فَقَالَ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[1]، يَعْنِي: وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَصْنَعُ فِيهِ مَا تُرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَأَحَلَّهَا لَهُ، وَمَا فُتِحَتْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا أُحِلَّتْ لَهُ فَأَحَلَّ مَا شَاءَ وَحَرَّمَ مَا شَاءَ. قَتَلَ ابْنَ خَطَلٍ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَمَقِيسَ بْنَ صُبَابَةَ وَغَيْرَهُمَا؛ وَحَرَّمَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ ، ثُمَّ قَالَ " :إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَلَا يُعَضَّدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلَا تَحِلُّ لُقَطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ؛ فَإِنَّهُ لِقُيُونِنَا وَقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِلَّا الْإِذْخِرَ".

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾[2] فِي مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ؟

قُلْتُ: قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[3]]الزُّمَرِ: 30]. وَمِثْلُهُ وَاسِعٌ فِي كَلَامِ الْعِبَادِ، تَقُولُ لِمَنْ تَعِدُهُ الْإِكْرَامَ وَالْحِبَاءَ: أَنْتَ مُكْرَمٌ مَحْبُوٌّ، وَهُوَ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَوْسَعُ، لِأَنَّ الْأَحْوَالَ الْمُسْتَقْبَلَةَ عِنْدَهُ كَالْحَاضِرَةِ الْمُشَاهَدَةِ. وَكَفَاكَ دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّهُ لِلِاسْتِقْبَالِ، وَأَنَّ تَفْسِيرَهُ بِالْحَالِ مُحَالٌ: أَنَّ السُّورَةَ بِالِاتِّفَاقِ مَكِّيَّةٌ، وَأَيْنَ الْهِجْرَةُ عَنْ وَقْتِ نُزُولِهَا، فَمَا بَالُ الْفَتْحِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ "بِوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ؟ "

قُلْتُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ وَلَدَهُ، أَقْسَمَ بِبَلَدِهِ الَّذِي هُوَ مَسْقَطُ رَأْسِهِ وَحَرَمُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْشَأُ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ، وَبِمَنْ وَلَدَهُ وَبِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَكَّرَ؟

قُلْتُ: لِلْإِبْهَامِ الْمُسْتَقِلِّ بِالْمَدْحِ وَالتَّعَجُّبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: وَمَنْ وَلَدَ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

قُلْتُ: فِيهِ مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[1]]آلِ عِمْرَانَ: 36]، أَيْ: بِأَيِّ شَيْءٍ وَضَعَتْ، يَعْنِي مَوْضُوعًا عَجِيبَ الشَّأْنِ.

وَقِيلَ: هُمَا آدَمُ وَوَلَدُهُ. وَقِيلَ: كُلُّ وَالِدٍ وَوَلَدٍ.

وَالْكَبَدُ: أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِكَ: كَبِدَ الرَّجُلُ كَبَدًا، فَهُوَ أَكْبَدُ: إِذَا وَجِعَتْ كَبِدُهُ وَانْتَفَخَتْ، فَاتُّسِعَ فِيهِ حَتَّى اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ. وَمِنْهُ اشْتُقَّتِ الْمُكَابَدَةُ، كَمَا قِيلَ: كَبَتَهُ بِمَعْنَى أَهْلَكَهُ. وَأَصْلُهُ: كَبَدَهُ، إِذَا أَصَابَ كَبِدَهُ.

قَالَ لَبِيدٌ:

يَا عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدِ

أَيْ: فِي شِدَّةِ الْأَمْرِ وَصُعُوبَةِ الْخَطْبِ.

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿أَيَحْسَبُ﴾[2] لِبَعْضِ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُكَابِدُ مِنْهُمْ مَا يُكَابِدُ.

وَالْمَعْنَى: أَيَظُنُّ هَذَا الصِّنْدِيدُ الْقَوِيُّ فِي قَوْمِهِ الْمُتَضَعِّفُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَنْ لَنْ تَقُومَ قِيَامَةٌ، وَلَنْ يُقْدَرَ عَلَى الِانْتِقَامِ مِنْهُ وَعَلَى مُكَافَأَتِهِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَقُولُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا﴾[3]، يُرِيدُ: كَثْرَةَ مَا أَنْفَقَهُ فِيمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُسَمُّونَهَا مَكَارِمَ، وَيَدْعُونَهَا مَعَالِيَ وَمَفَاخِرَ.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[4] حِينَ كَانَ يُنْفِقُ مَا يُنْفِقُ رِئَاءَ النَّاسِ وَافْتِخَارًا بَيْنَهُمْ، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ كَانَ يَرَاهُ وَكَانَ عَلَيْهِ رَقِيبًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ الشَّرِيفِ، وَمِنْ شَرَفِهِ أَنَّكَ حِلٌّ بِهِ مِمَّا يَقْتَرِفُهُ أَهْلُهُ مِنَ الْمَآثِمِ مُتَحَرِّجٌ بَرِئٌ؛ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ أُعَظِّمَهُ بِقَسَمِي بِهِ .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[5]، أَيْ: فِي مَرَضٍ: وَهُوَ مَرَضُ الْقَلْبِ وَفَسَادُ الْبَاطِنِ، يُرِيدُ: الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

وَقِيلَ: الَّذِي يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ: هُوَ أَبُو الْأَشَدِّ، وَكَانَ قَوِيًّا يُبْسَطُ لَهُ الْأَدِيمُ الْعُكَاظِيُّ فَيَقُومُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: مَنْ أَزَالَنِي عَنْهُ فَلَهُ كَذَا، فَلَا يُنْزَعُ إِلَّا قِطَعًا وَيَبْقَى مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ.

وَقِيلَ :الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ.

﴿لُبَدًا﴾[1] قُرِئَ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: جَمْعُ لُبْدَةٍ وَلُبَدَةٍ، وَهُوَ مَا تَلَبَّدَ يُرِيدُ الْكَثْرَةَ

: وَقُرِئَ: "لُبُدًا" بِضَمَّتَيْنِ: جَمَعَ لُبُودٍ.

وَلَبَّدًا: بِالتَّشْدِيدِ جَمْعُ لَابِدٍ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[2]

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾[3]: يُبْصِرُ بِهِمَا الْمَرْئِيَّاتِ، ﴿وَلِسَانًا﴾[4] يُتَرْجِمُ بِهِ عَنْ ضَمَائِرِهِ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾[5] يُطْبِقُهُمَا عَلَى فِيهِ وَيَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى النُّطْقِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّفْخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[6]، أَيْ: طَرِيقَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقِيلَ: الثَّدْيَيْنِ.

﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[7]، يَعْنِي: فَلَمْ يَشْكُرْ تِلْكَ الْأَيَادِيَ وَالنِّعَمَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، ثُمَّ بِالْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ، بَلْ غَمَطَ النِّعَمَ وَكَفَرَ بِالْمُنْعِمِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْفَاقَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ هُوَ الْإِنْفَاقُ الْمَرْضِيُّ النَّافِعُ عِنْدَ اللَّهِ، لَا أَنْ يُهْلِكَ مَالًا لُبَدًا فِي الرِّيَاءِ وَالْفَخَارِ، فَيَكُونُ مَثَلُهُ ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾[1]]آلِ عِمْرَانَ: 117]. الْآيَةَ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَلَّمَا تَقَعُ "لَا" الدَّاخِلَةُ عَلَى الْمَاضِي إِلَّا مُكَرَّرَةً، وَنَحْوَ قَوْلِهِ:

فَأَيُّ أَمْرٍ سَيِّئٍ لَا فَعَلَهْ لَا يَكَادُ يَقَعُ، فَمَا لَهَا لَمْ تُكَرَّرْ فِي الْكَلَامِ الْأَفْصَحِ؟

قُلْتُ: هِيَ مُتَكَرِّرَةٌ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّ مَعْنَى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[2]: فَلَا فَكَّ رَقَبَةً، وَلَا أَطْعَمَ مِسْكِينًا.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ فَسَّرَ اقْتِحَامَ الْعَقَبَةِ بِذَلِكَ ؟

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قَوْلُهُ: "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا" يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[3]، وَلَا آمَنَ. وَالِاقْتِحَامُ: الدُّخُولُ وَالْمُجَاوَزَةُ بِشِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ.

وَالْقَحْمَةُ: الشِّدَّةُ، وَجَعَلَ الصَّالِحَةَ: عَقَبَةً، وَعَمَلَهَا: اقْتِحَامًا لَهَا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُعَانَاةِ الْمَشَقَّةِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: عَقَبَةٌ وَاللَّهِ شَدِيدَةٌ. مُجَاهَدَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَعَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ.

وَفَكُّ الرَّقَبَةِ: تَخْلِيصُهَا مِنْ رِقٍّ أَوْ غَيْرِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: "تَعْتِقُ النَّسَمَةَ وَتَفُكُّ الرَّقَبَةَ. قَالَ: أَوْ لَيْسَا سَوَاءً؟ قَالَ: لَا، إِعْتَاقُهَا أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا. وَفَكُّهَا: أَنْ تُعِينَ فِي تَخْلِيصِهَا" مِنْ قَوَدٍ أَوْ غُرْمٍ. وَالْعِتْقُ وَالصَّدَقَةُ: مِنْ أَفَاضِلِ الْأَعْمَالِ.

وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ الْعِتْقَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ. وَعَنْ صَاحِبَيْهِ: الصَّدَقَةُ أَفْضَلُ، وَالْآيَةُ أَدَلُّ عَلَى قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ لِتَقْدِيمِ الْعِتْقِ عَلَى الصَّدَقَةِ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ فِي رَجُلٍ عِنْدَهُ فَضْلُ نَفَقَةٍ: أَيَضَعُهُ فِي ذِي قَرَابَةٍ، أَوْ يُعْتِقُ رَقَبَةً؟ قَالَ: الرَّقَبَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "مَنْ فَكَّ رَقَبَةً فَكَّ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

قُرِئَ: فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ عَلَى: هِيَ فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ. وَقُرِئَ: فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ، عَلَى الْإِبْدَالِ مَنِ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾[1] اعْتِرَاضٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّكَ لَمْ تَدْرِ كُنْهَ صُعُوبَتِهَا عَلَى النَّفْسِ وَكُنْهَ ثَوَابِهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَالْمَسْغَبَةُ، وَالْمَقْرَبَةُ، وَالْمَتْرَبَةُ: مَفْعَلَاتٌ مِنْ سَغِبَ: إِذَا جَاعَ.

وَقَرُبَ فِي النَّسَبِ، يُقَالُ: فُلَانٌ ذُو قَرَابَتِي. وَذُو مَقْرَبَتِي.

وَتَرِبَ: إِذَا افْتَقَرَ، وَمَعْنَاهُ. الْتَصَقَ بِالتُّرَابِ. وَأَمَّا أَتْرَبَ فَاسْتَغْنَى، أَيْ: صَارَ ذَا مَالٍ كَالتُّرَابِ فِي الْكَثْرَةِ، كَمَا قِيلَ: أَثْرَى.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[2]: الَّذِي مَأْوَاهُ الْمَزَابِلُ، وَوُصِفَ الْيَوْمُ بِذِي مَسْغَبَةٍ نَحْوَ مَا يَقُولُ النَّحْوِيُّونَ فِي قَوْلِهِمْ: هَمٌّ نَاصِبٌ: ذُو نَصَبٍ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: ذَا مَسْغَبَةٍ؛ نَصَبَهُ بِـ "إِطْعَامٌ". وَمَعْنَاهُ: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ذَا مَسْغَبَةٍ.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[3]

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4]، جَاءَ بِثُمَّ لِتَرَاخِي الْإِيمَانِ وَتَبَاعُدِهِ فِي الرُّتْبَةِ وَالْفَضِيلَةِ عَنِ الْعِتْقِ وَالصَّدَقَةِ، لَا فِي الْوَقْتِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ السَّابِقُ الْمُقَدَّمُ عَلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَثْبُتُ عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا بِهِ.

وَالْمَرْحَمَةُ: الرَّحْمَةُ، أَيْ: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ. أَوْ بِالصَّبْرِ عَنِ الْمَعَاصِي وَعَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمِحَنِ الَّتِي يُبْتَلَى بِهَا الْمُؤْمِنُ، وَبِأَنْ يَكُونُوا مُتَرَاحِمِينَ مُتَعَاطِفِينَ. أَوْ بِمَا يُؤَدِّي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

الْمَيْمَنَةُ وَالْمَشْأَمَةُ: الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ. أَوِ الْيُمْنُ وَالشُّؤْمُ، أَيِ: الْمَيَامِينُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَالْمَشَائِيمُ عَلَيْهِنَّ.

قُرِئَ: "مُوصَدَةٌ" بِالْوَاوِ وَالْهَمْزَةِ، مِنْ وَصَدْتُ الْبَابَ وَآصَدْتُهُ: إِذَا أَطْبَقْتَهُ وَأَغْلَقْتَهُ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ: لَنَا إِمَامٌ يَهْمِزُ "مُؤْصَدَةٌ"، فَأَشْتَهِي أَنْ أَسُدَّ أُذُنِي إِذَا سَمِعْتُهُ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ [لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَمَانَ مِنْ غَضَبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

[سورة الشمس]

]سورة الشمس[

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْقَدْرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]

ضُحَاهَا: ضَوْؤُهَا إِذَا أَشْرَقَتْ وَقَامَ سُلْطَانُهَا، وَلِذَلِكَ قِيلَ: وَقْتُ الضُّحَى، كَأَنَّ وَجْهَهُ شَمْسُ الضُّحَى.

وَقِيلَ: الضَّحْوَةُ ارْتِفَاعُ النَّهَارِ. وَالضُّحَى فَوْقَ ذَلِكَ. وَالضَّحَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ: إِذَا امْتَدَّ النَّهَارُ وَقَرُبَ أَنْ يَنْتَصِفَ.

﴿إِذَا تَلاهَا﴾[2]: طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِهَا آخِذًا مِنْ نُورِهَا، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ.

وَقِيلَ: إِذَا اسْتَدَارَ فَتَلَاهَا فِي الضِّيَاءِ وَالنُّورِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

﴿إِذَا جَلاهَا﴾[1] عِنْدَ انْتِفَاخِ النَّهَارِ وَانْبِسَاطِهِ، لِأَنَّ الشَّمْسَ تَنْجَلِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَمَامَ الِانْجِلَاءِ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلظُّلْمَةِ، أَوْ لِلدُّنْيَا، أَوْ لِلْأَرْضِ، وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ، كَقَوْلِهِمْ: أَصْبَحَتْ بَارِدَةً: يُرِيدُونَ الْغَدَاةَ، وَأَرْسَلَتْ: يُرِيدُونَ السَّمَاءَ إِذَا يَغْشَاهَا، فَتَغِيبُ وَتُظْلِمُ الْآفَاقُ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْأَمْرُ فِي نَصْبِ "إِذَا" مُعْضِلٌ، لِأَنَّكَ لَا تَخْلُو إِمَّا أَنْ تَجْعَلَ الْوَاوَاتِ عَاطِفَةً فَتَنْصِبَ بِهَا وَتَجُرَّ، فَتَقَعُ فِي الْعَطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: مَرَرْتُ أَمْسِ بِزَيْدٍ، وَالْيَوْمَ عَمْرٍو. وَإِمَّا أَنْ تَجْعَلَهُنَّ لِلْقَسَمِ، فَتَقَعُ فِيمَا اتَّفَقَ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ.

قُلْتُ: الْجَوَابُ فِيهِ أَنَّ وَاوَ الْقَسَمِ مُطْرَحٌ مَعَهَا إِبْرَازُ الْفِعْلِ إِطْرَاحًا كُلِّيًّا، فَكَانَ لَهَا شَأْنٌ خِلَافَ شَأْنِ الْبَاءِ، حَيْثُ أُبْرِزَ مَعَهَا الْفِعْلُ وَأُضْمِرَ، فَكَانَتِ الْوَاوُ قَائِمَةً مَقَامَ الْفِعْلِ وَالْبَاءُ سَادَّةً مَسَدَّهُمَا مَعًا، وَالْوَاوَاتُ الْعَوَاطِفُ نَوَائِبُ عَنْ هَذِهِ الْوَاوِ، فَحَقِقْنَ أَنْ يَكُنَّ عَوَامِلَ عَلَى الْفِعْلِ وَالْجَارِّ جَمِيعًا، كَمَا تَقُولُ: ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا، وَبَكْرٌ خَالِدًا، فَتَرْفَعُ بِالْوَاوِ وَتَنْصِبُ لِقِيَامِهَا مَقَامَ ضَرَبَ الَّذِي هُوَ عَامِلُهُمَا.

جُعِلَتْ "مَا" مَصْدَرِيَّةً فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا بَنَاهَا وَمَا طَحَاهَا وَمَا سَوَّاهَا﴾[2]، وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾[3] وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ فَسَادِ النَّظْمِ.

وَالْوَجْهُ: أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، وَإِنَّمَا أُوثِرَتْ عَلَى مَنْ لِإِرَادَةِ مَعْنَى الْوَصْفِيَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالسَّمَاءِ، وَالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَنَاهَا، وَنَفْسٍ، وَالْحَكِيمِ الْبَاهِرِ الْحِكْمَةِ الَّذِي سَوَّاهَا، وَفِي كَلَامِهِمْ: سُبْحَانَ مَا سَخَّرَكُنَّ لَنَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نُكِّرَتِ النَّفْسُ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يُرِيدَ نَفْسًا خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ النُّفُوسِ وَهِيَ نَفْسُ آدَمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَوَاحِدَةٍ مِنَ النُّفُوسِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

– وَالثَّانِي: أَنْ يُرِيدَ كُلَّ نَفْسٍ وَيُنَكَّرُ لِلتَّكْثِيرِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾[1]]التَّكْوِير: 144].

وَمَعْنَى إِلْهَامِ الْفُجُورِ وَالتَّقْوَى: إِفْهَامُهُمَا وَإِعْقَالُهُمَا، وَأَنَّ أَحَدَهُمَا حَسَنٌ وَالْآخَرُ قَبِيحٌ، وَتَمْكِينُهُ مِنَ اخْتِيَارِ مَا شَاءَ مِنْهُمَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[2]، فَجَعَلَهُ فَاعِلَ التَّزْكِيَةِ، وَالتَّدْسِيَةِ وَمُتَوَلِّيَهُمَا.

وَالتَّزْكِيَةُ: الْإِنْمَارُ وَالْإِعْلَاءُ بِالتَّقْوَى. وَالتَّدْسِيَةُ: النَّقْصُ وَالْإِخْفَاءُ بِالْفُجُورِ. وَأَصْلُ دَسَّى: دَسَسَ، كَمَا قِيلَ فِي تَقَضَّضَ: تَقَضَّى.

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَقْرَأُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[3]]طه: 1111].

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي زَكَّى وَدَسَّى لِلَّهِ –تَعَالَى–، وَأَنَّ تَأْنِيثَ الرَّاجِعِ إِلَى "مَنْ" لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّفْسِ: فَمِنْ تَعْكِيسِ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يُوَرِّكُونَ عَلَى اللَّهِ قَدَرًا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ وَمُتَعَالٍ عَنْهُ، وَيُحْيُونَ لَيَالِيَهُمْ فِي تَمَحُّلِ فَاحِشَةٍ يَنْسُبُونَهَا إِلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيْنَ جَوَابُ الْقَسَمِ؟

قُلْتُ: هُوَ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لَيُدَمْدِمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَيْ: عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَمَا دَمْدَمَ عَلَى ثَمُودَ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا صَالِحًا.

وَأَمَّا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[4]، فَكَلَامٌ تَابِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[5] عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِطْرَادِ، وَلَيْسَ مِنْ جَوَابِ الْقَسَمِ فِي شَيْءٍ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .

وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[1]

الْبَاءُ فِي: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾[2] مِثْلُهَا فِي: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ. وَالطَّغْوَى مِنَ الطُّغْيَانِ: فَصَلُوا بَيْنَ الِاسْمِ وَالصِّفَةِ فِي فَعْلَى مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ، بِأَنْ قَلَبُوا الْيَاءَ وَاوًا فِي الِاسْمِ، وَتَرَكُوا الْقَلْبَ فِي الصِّفَةِ، فَقَالُوا: امْرَأَةٌ خَزْيَى وَصَدْيَى، يَعْنِي: فَعَلَتِ التَّكْذِيبَ بِطُغْيَانِهَا، كَمَا تَقُولُ: ظَلَمَنِي بِجُرْأَتِهِ عَلَى اللَّهِ.

وَقِيلَ: كَذَّبَتْ بِمَا أُوعِدَتْ بِهِ مِنْ عَذَابِهَا ذِي الطَّغْوَى كَقَوْلِهِ: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[3]]الْحَاقَّةِ: 5].

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "بِطُغْوَاهَا" بِضَمِّ الطَّاءِ كَالْحُسْنَى وَالرُّجْعَى فِي الْمَصَادِرِ.

﴿إِذِ انْبَعَثَ﴾[4]: مَنْصُوبٌ بِكَذَّبَتْ. أَوْ بِالطَّغْوَى.

وَ﴿أَشْقَاهَا﴾[5]: قِدَارُ بْنُ سَالِفٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا جَمَاعَةً، وَالتَّوْحِيدُ لِتَسْوِيَتِكَ فِي أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ إِذَا أَضَفْتَهُ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَكَانَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَشْقَوْهَا، كَمَا تَقُولُ: أَفَاضِلُهُمْ. وَالضَّمِيرُ فِي "لَهُمْ" يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْأَشْقَيْنِ وَالتَّفْضِيلِ فِي الشَّقَاوَةِ، لِأَنَّ مَنْ تَوَلَّى الْفَقْرَ وَبَاشَرَهُ كَانَتْ شَقَاوَتُهُ أَظْهَرَ وَأَبْلَغَ.

وَ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾[6]: نُصِبَ عَلَى التَّحْذِيرِ، كَقَوْلِكَ: الْأَسَدَ الْأَسَدَ، وَالصَّبِيَّ الصَّبِيَّ، بِإِضْمَارِ: ذَرُوا أَوْ احْذَرُوا عَقْرَهَا .

﴿وَسُقْيَاهَا﴾[7]، فَلَا تَزْوُوهَا عَنْهَا، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا بِهَا عَلَيْهَا فَكَذَّبُوهُ فِيمَا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ مِنْ نُزُولِ الْعَذَابِ إِنْ فَعَلُوا.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾[1] فَأَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وَهُوَ مِنْ تَكْرِيرِ قَوْلِهِمْ: نَاقَةٌ مَدْمُومَةٌ: إِذَا أَلْبَسَهَا الشَّحْمُ .بِذَنْبِهِمْ بِسَبَبِ ذَنْبِهِمْ. وَفِيهِ إِنْذَارٌ عَظِيمٌ بِعَاقِبَةِ الذَّنْبِ، فِعْلَ كُلِّ مُذْنِبٍ أَنْ يَعْتَبِرَ وَيَحْذَرَ.

﴿فَسَوَّاهَا﴾[2] الضَّمِيرُ لِلدَّمْدَمَةِ، أَيْ: فَسَوَّاهَا بَيْنَهُمْ لَمْ يَفْلِتْ مِنْهَا صَغِيرُهُمْ وَلَا كَبِيرُهُمْ، ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[3]، أَيْ: عَاقِبَتَهَا وَتَبِعَتَهَا، كَمَا يَخَافُ كُلُّ مُعَاقِبٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَيُبْقِي بَعْضَ الْإِبْقَاءِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ لِثَمُودَ عَلَى مَعْنَى: فَسَوَّاهَا بِالْأَرْضِ. أَوْ فِي الْهَلَاكِ، وَلَا يَخَافُ عُقْبَى هَلَاكِهَا.

وَفِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ: فَلَا يَخَافُ.

وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ–: وَلَمْ يَخَفْ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "مَنْ قَرَأَ [سُورَةَ الشَّمْسِ]، فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِكُلِّ شَيْءٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

سُورَةُ اللَّيْلِ

]سُورَةُ اللَّيْلِ[

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ 2
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَعْلَى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾[1]

الْمَغْشِيُّ: إِمَّا الشَّمْسُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[2]]الشَّمْسِ: 4]. وَإِمَّا النَّهَارُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[3]]الْأَعْرَافِ: 54]. وَإِمَّا كُلُّ شَيْءٍ يُوَارِيهِ بِظَلَامِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾[4]]الْفَلَقِ: 3

﴿تَجَلَّى﴾[5]: ظَهَرَ بِزَوَالِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. أَوْ تَبَيَّنَ وَتَكَشَّفَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .

﴿وَمَا خَلَقَ﴾[1]: وَالْقَادِرِ الْعَظِيمِ الْقُدْرَةِ الَّذِي قَدَرَ عَلَى خَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ.

وَقِيلَ: هُمَا آدَمُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَحَوَّاءُ. وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : "وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى".

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى".

وَعَنِ الْكِسَائِيِّ: وَمَا خَلَقَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّ مَا خَلَق بِمَعْنَى: وَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ، أَيْ: وَمَخْلُوقِ اللَّهِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى. وَجَازَ إِضْمَارُ اسْمِ اللَّهِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لِانْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ. إِذْ لَا خَالِقَ سِوَاهُ.

وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ لَيْسَ بِذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى.

وَالْخُنْثَى، وَإِنْ أُشْكِلَ أَمْرُهُ عِنْدَنَا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ مُشْكِلٍ، مَعْلُومٌ بِالذُّكُورَةِ أَوِ الْأُنُوثَةِ؛ فَلَوْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَمْ يَلْقَ يَوْمَهُ ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى، وَلَقَدْ لَقِيَ خُنْثَى مُشْكِلًا، كَانَ حَانِثًا، لِأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ إِمَّا ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَإِنْ كَانَ مُشْكِلًا عِنْدَنَا .

شَتَّى جَمْعُ شَتِيتٍ، أَيْ: إِنَّ مَسَاعِيَكُمْ أَشْتَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَبَيَانُ اخْتِلَافِهِمَا فِيمَا فُصِّلَ عَلَى أَثَرِهِ.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[2]

﴿أَعْطَى﴾[3]، يَعْنِي حُقُوقَ مَالِهِ، ﴿وَاتَّقَى﴾[4] اللَّهَ فَلَمْ يَعْصِهِ.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[5]: بِالْخَصْلَةِ الْحُسْنَى: وَهِيَ الْإِيمَانُ. أَوْ بِالْمِلَّةِ الْحُسْنَى: وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ بِالْمَثُوبَةِ الْحُسْنَى: وَهِيَ الْجَنَّةُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[1]، فَسَنُهَيِّؤُهُ لَهَا؛ مِنْ يَسَّرَ الْفَرَسَ لِلرُّكُوبِ إِذَا أَسْرَجَهَا وَأَلْجَمَهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ".

وَالْمَعْنَى: فَسَنَلْطُفُ بِهِ وَنُوَفِّقُهُ حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَيْسَرَ الْأُمُورِ عَلَيْهِ وَأَهْوَنَهَا، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾[2]الْأَنْعَامِ: 125 .[

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[3]

﴿وَاسْتَغْنَى﴾[4]: وَزَهِدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ كَأَنَّهُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِهِ. أَوِ اسْتَغْنَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ ﴿وَاتَّقَى﴾[5].

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[6]: فَسَنَخْذُلُهُ وَنَمْنَعُهُ الْأَلْطَافَ، حَتَّى تَكُونَ الطَّاعَةُ أَعْسَرَ شَيْءٍ عَلَيْهِ وَأَشَدَّهُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[7]] الْأَنْعَامِ: 1255]. أَوْ سَمَّى طَرِيقَةَ الْخَيْرِ بِالْيُسْرَى؛ لِأَنَّ عَاقِبَتَهَا الْيُسْرُ، وَطَرِيقَةَ الشَّرِّ الْعُسْرَى، لِأَنَّ عَاقِبَتَهَا الْعُسْرُ. أَوْ أَرَادَ بِهِمَا طَرِيقَيِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، أَيْ: فَسَنَهْدِيهِمَا فِي الْآخِرَةِ لِلطَّرِيقَيْنِ. وَقِيلَ: نَزَلَتَا فِي أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، وَفِي أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ﴾[8]: اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ. أَوْ نَفْيٌ.

﴿تَرَدَّى﴾[9] تَفَعَّلَ مِنَ الرَّدَى، وَهُوَ الْهَلَاكُ، يُرِيدُ: الْمَوْتَ. أَوْ تَرَدَّى فِي الْحُفْرَةِ إِذَا قُبِرَ، أَوْ تَرَدَّى فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .
[9] سورة ، الآية .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾[1]

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[2]: إِنَّ الْإِرْشَادَ إِلَى الْحَقِّ وَاجِبٌ عَلَيْنَا بِنَصْبِ الدَّلَائِلِ وَبَيَانِ الشَّرَائِعِ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾[3]، أَيْ: ثَوَابَ الدَّارَيْنِ لِلْمُهْتَدِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[4]]الْعَنْكَبُوتِ: 27 .[

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلاهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[5]

وَقَرَأَ أَبُو الزُّبَيْرِ "تَتَلَظَّى".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا﴾[6]... ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[7] وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ كُلَّ شَقِيٍّ يَصْلَاهَا، وَكُلَّ تَقِيٍّ يُجَنَّبُهَا، لَا يَخْتَصُّ بِالصَّلْيِ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ، وَلَا بِالنَّجَاةِ أَتْقَى الْأَتْقِيَاءِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ نَكَّرَ النَّارَ فَأَرَادَ نَارًا بِعَيْنِهَا مَخْصُوصَةً بِالْأَشْقَى، فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[1]، فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ أَفْسَقَ الْمُسْلِمِينَ يُجَنَّبُ تِلْكَ النَّارَ الْمَخْصُوصَةَ، لَا الْأَتْقَى مِنْهُمْ خَاصَّةً؟

قُلْتُ: الْآيَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ حَالَتَيْ عَظِيمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَظِيمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأُرِيدَ أَنْ يُبَالَغَ فِي صِفَتَيْهِمَا الْمُتَنَاقِضَتَيْنِ، فَقِيلَ: الْأَشْقَى، وَجُعِلَ مُخْتَصًّا بِالصَّلْيِ، كَأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ.

وَقِيلَ: الْأَتْقَى، وَجُعِلَ مُخْتَصًّا بِالنَّجَاةِ، كَأَنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ.

وَقِيلَ: هُمَا أَبُو جَهْلٍ أَوْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

﴿يَتَزَكَّى﴾[2]: مِنَ الزَّكَاءِ. أَيْ: يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ زَاكِيًا، لَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً. أَوْ يَتَفَعَّلُ مِنَ الزَّكَاةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ يَتَزَكَّى؟

قُلْتُ: هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِنْ جَعَلْتَهُ بَدَلًا مِنْ يُؤْتَى فَلَا مَحَلَّ لَهُ، لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الصِّلَةِ، وَالصِّلَاتُ لَا مَحَلَّ لَهَا، وَإِنْ جَعَلْتَهُ حَالًا فِي الضَّمِيرِ فِي يُؤْتَى فَمَحَلُّهُ النَّصْبُ.

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾[3]: مُسْتَثْنًى مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ وَهُوَ النِّعْمَةُ أَيْ: مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ نِعْمَةٌ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، كَقَوْلِكَ: مَا فِي الدَّارِ أَحَدٌ إِلَّا حِمَارًا.

وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: "إِلَّا ابْتِغَاءُ وَجْهِ رَبِّهِ" بِالرَّفْعِ: عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقُولُ: مَا فِي الدَّارِ أَحَدٌ إِلَّا حِمَارٌ.

وَأَنْشَدَ فِي اللُّغَتَيْنِ قَوْلَ بِشْرِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ:

أَضْحَتْ خَلَايَا قِفَارًا لَا أَنِيسَ بِهَا إِلَّا الْجَآذِرُ وَالظِّلْمَانُ تَخْتَلِفُ

وَقَوْلِ الْقَائِلِ:

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلَّا الْيَعَافِيرُ وَإِلَّا الْعِيسُ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾[1] مَفْعُولًا لَهُ عَلَى الْمَعْنَى، لِأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ: لَا يُؤْتِي مَالَهُ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ، لَا لِمُكَافَأَةِ نِعْمَةٍ.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[2] مَوْعِدٌ بِالثَّوَابِ الَّذِي يُرْضِيهِ وَيُقِرُّ عَيْنَهُ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ "وَاللَّيْلِ"، أَعْطَاهُ اللَّهُ حَتَّى يَرْضَى، وَعَافَاهُ مِنَ الْعُسْرِ وَيَسَّرَ لَهُ الْيُسْرَ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[سُورَةُ الضُّحَى]

سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ
[نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَجْرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[1]

الْمُرَادُ بِالضُّحَى: وَقْتُ الضُّحَى، وَهُوَ صَدْرُ النَّهَارِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ وَتُلْقِيَ شُعَاعَهَا.

وَقِيلَ: إِنَّمَا خَصَّ وَقْتَ الضُّحَى بِالْقَسَمِ، لِأَنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كَلَّمَ فِيهَا مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَأُلْقِيَ فِيهَا السَّحَرَةُ سُجَّدًا، لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[2]]طه: 59].

وَقِيلَ: أُرِيدَ بِالضُّحَى: النَّهَارُ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾[3]]الْأَعْرَافِ: 98]. فِي مُقَابَلَةِ "بَيَاتًا".

﴿سَجَى﴾[4]: سَكَنَ وَرَكَدَ ظَلَامُهُ. وَقِيلَ: لَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ سَاكِنَةُ الرِّيحِ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: سُكُونُ النَّاسِ وَالْأَصْوَاتِ فِيهِ. وَسَجَا الْبَحْرُ: سَكَنَتْ أَمْوَاجُهُ. وَطَرْفٌ سَاجٍ: سَاكِنٌ فَاتِرٌ.

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾[1]: جَوَابُ الْقَسَمِ. وَمَعْنَاهُ: مَا قَطَعَكَ قَطْعَ الْمُوَدِّعِ.

وَقُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ، يَعْنِي: مَا تَرَكَكَ.

قَالَ:

وَثَمَّ وَدَعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ فَرَائِسَ أَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ

وَالتَّوْدِيعُ: مُبَالَغَةٌ فِي الْوَدْعِ، لِأَنَّ مَنْ وَدَّعَكَ مُفَارِقًا فَقَدْ بَالَغَ فِي تَرْكِكَ.

رُوِيَ: أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَيَّامًا، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ .

وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّ جَمِيلٍ امْرَأَةَ أَبِي لَهَبٍ قَالَتْ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ ، مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَنَزَلَتْ.

حَذَفَ الضَّمِيرَ مِنْ قَلَى كَحَذْفِهِ مِنَ ﴿الذَّاكِرَاتِ﴾[2] فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[3]]الْأَحْزَابِ: 355].

يُرِيدُ: وَالذَّاكِرَاتِهِ، وَنَحْوَهُ: "فَآوَى... فَهَدَى... فَأَغْنَى"، وَهُوَ اخْتِصَارٌ لَفْظِيٌّ لِظُهُورِ الْمَحْذُوفِ.

﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[4]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾[5] بِمَا قَبْلَهُ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ فِي ضِمْنِ نَفْيِ التَّوْدِيعِ وَالْقَلْيِ: أَنَّ اللَّهَ مُوَاصِلُكَ بِالْوَحْيِ إِلَيْكَ، وَأَنَّكَ حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا تَرَى كَرَامَةً أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا نِعْمَةً أَجَلَّ مِنْهُ، أَخْبَرَهُ أَنَّ حَالَهُ فِي الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ، وَهُوَ السَّبْقُ وَالتَّقَدُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَشَهَادَةُ أُمَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، وَرَفْعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِعْلَاءُ مَرَاتِبِهِمْ بِشَفَاعَتِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكَرَامَاتِ السَّنِيَّةِ.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1]: مَوْعِدٌ شَامِلٌ لِمَا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْفَلْجِ وَالظَّفَرِ بِأَعْدَائِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَدُخُولُ النَّاسِ فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا، وَالْغَلَبَةُ عَلَى قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَإِجْلَائِهِمْ، وَبَثُّ عَسَاكِرِهِ وَسَرَايَاهُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَمَا فَتَحَ عَلَى خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنَ الْمَدَائِنِ وَهَدَمَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ مَمَالِكِ الْجَبَابِرَةِ وَأَنْهَبَهُمْ مِنْ كُنُوزِ الْأَكَاسِرَةِ، وَمَا قَذَفَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنَ الرُّعْبِ وَتَهَيُّبِ الْإِسْلَامِ، وَفُشُوِّ الدَّعْوَةِ وَاسْتِيلَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِمَا ادَّخَرَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ لِلَّهِ عَنْهُمَا–: لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفُ قَصْرٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ أَبْيَضَ تُرَابُهُ الْمِسْكُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا هَذِهِ اللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى سَوْفَ؟ قُلْتُ: هِيَ لَامُ الِابْتِدَاءِ الْمُؤَكِّدَةُ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، وَالْمُبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ.

تَقْدِيرُهُ: وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي: لَا أُقْسِمُ، أَنَّ الْمَعْنَى: لَأَنَا أُقْسِمُ، وَذَلِكَ أَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ لَامَ قَسَمٍ أَوِ ابْتِدَاءٍ فَلَامُ الْقَسَمِ لَا تَدْخُلُ عَلَى الْمُضَارِعِ إِلَّا مَعَ نُونِ التَّأْكِيدِ، فَبَقِيَ أَنْ تَكُونَ لَامَ ابْتِدَاءٍ، وَلَامُ الِابْتِدَاءِ لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْجُمْلَةِ مِنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُبْتَدَإٍ وَخَبَرٍ، وَأَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ: وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْجَمْعِ بَيْنَ حَرْفَيِ التَّوْكِيدِ وَالتَّأْخِيرِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَطَاءَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ، لِمَا فِي التَّأْخِيرِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[2]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ وَأَيَادِيَهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُخْلِهِ مِنْهَا مِنْ أَوَّلِ تَرَبِّيهِ وَابْتِدَاءِ نَشْئِهِ، تَرْشِيحًا لِمَا أَرَادَ بِهِ، لِيَقِيسَ الْمُتَرَقِّبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ، لِئَلَّا يَتَوَقَّعُ إِلَّا الْحُسْنَى وَزِيَادَةَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ: وَلَا يَضِيقُ صَدْرُهُ وَلَا يَقِلُّ صَبْرُهُ.

وَ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾[1] مِنَ الْوُجُودِ الَّذِي بِمَعْنَى الْعِلْمِ: وَالْمَنْصُوبَانِ مَفْعُولَا وَجَدَ. وَالْمَعْنَى: أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ مَاتَ وَهُوَ جَنِينٌ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ وَمَاتَتْ أُمُّهُ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَعَطَّفَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ.

وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: "دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ"، وَأَنَّ الْمَعْنَى: أَلَمْ يَجِدْكَ وَاحِدًا فِي قُرَيْشٍ عَدِيمَ النَّظِيرِ فَآوَاكَ.

وَقُرِئَ: فَآوَى؛ وَهُوَ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: إِمَّا مِنْ أَوَاهُ بِمَعْنَى آوَاهُ.

سُمِعَ بَعْضُ الرُّعَاةِ يَقُولُ: أَيْنَ آوِي هَذِهِ الْمُوَقَّسَةَ، وَإِمَّا مِنْ أَوِيَ لَهُ: إِذَا رَحِمَهُ ﴿ضَالًّا﴾[2]، مَعْنَاهُ الضَّلَالُ عَنْ عِلْمِ الشَّرَائِعِ وَمَا طَرِيقُهُ السَّمْعُ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾[3]]الشُّورَى: 52].

وَقِيلَ: ضَلَّ فِي صِبَاهُ فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ ، فَرَدَّهُ أَبُو جَهْلٍ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَقِيلَ: أَضَلَّتْهُ حَلِيمَةُ عِنْدَ بَابِ مَكَّةَ حِينَ فَطَمَتْهُ وَجَاءَتْ بِهِ لِتَرُدَّهُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَقِيلَ: ضَلَّ فِي طَرِيقِ الشَّامِ حِينَ خَرَجَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ، فَهَدَاكَ: فَعَرَّفَكَ الْقُرْآنَ وَالشَّرَائِعَ. أَوْ فَأَزَالَ ضَلَالَكَ عَنْ جَدِّكَ وَعَمِّكَ.

وَمَنْ قَالَ: كَانَ عَلَى أَمْرِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى خُلُوِّهِمْ عَنِ الْعُلُومِ السَّمْعِيَّةِ، فَنَعَمْ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَمَعَاذَ اللَّهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا مِنَ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الشَّائِنَةِ، فَمَا بَالُ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

بِالصَّانِعِ ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]]يُوسُفَ: 388]. وَكَفَى بِالنَّبِيِّ نَقِيصَةً عِنْدَ الْكُفَّارِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ كُفْرٌ.

﴿عَائِلا﴾[2]: فَقِيرًا.

وَقُرِئَ: عَيْلًا كَمَا قُرِئَ: سَيِّحَاتٌ. وَعَدِيمًا.

﴿فَأَغْنَى﴾[3]: فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ. أَوْ بِمَا أَفَاءَ عَلَيْكَ مِنَ الْغَنَائِمِ. قَالَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي "وَقِيلَ: قَنَّعَكَ وَأَغْنَى قَلْبَكَ".

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4]

﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾[5]: فَلَا تَغْلِبْهُ عَلَى مَالِهِ وَحَقِّهِ لِضَعْفِهِ.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "فَلَا تَكْهَرْ"، وَهُوَ أَنْ يَعْبِسَ فِي وَجْهِهِ. وَفُلَانٌ ذُو كَهْرُورَةٍ: عَابِسُ الْوَجْهِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "فَبِأَبِي وَأُمِّي هُوَ، مَا كَهَرَنِي". النَّهْرُ، وَالنَّهْمُ: الزَّجْرُ.

عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِذَا رَدَدْتَ السَّائِلَ ثَلَاثًا فَلَمْ يَرْجِعْ، فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَزْبُرَهُ".

وَقِيلَ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالسَّائِلِ الْمُسْتَجْدِي، وَلَكِنْ طَالِبَ الْعِلْمِ: إِذَا جَاءَ فَلَا تَنْهَرْهُ. التَّحْدِيثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ: شُكْرُهَا وَإِشَاعَتُهَا، يُرِيدُ: مَا ذَكَرَهُ مِنْ نِعْمَةِ الْإِيوَاءِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِغْنَاءِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ.

عَنْ مُجَاهِدٍ: بِالْقُرْآنِ، فَحَدِّثْ: أَقْرِئْهُ، وَبَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: رَزَقَنِي اللَّهُ الْبَارِحَةَ خَيْرًا: قَرَأْتُ كَذَا وَصَلَّيْتُ كَذَا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا فِرَاسٍ مِثْلُكَ يَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1]، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَا تُحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ.

وَإِنَّمَا يَجُوزُ مِثْلُ هَذَا إِذَا قُصِدَ بِهِ اللُّطْفُ، وَأَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ الْفِتْنَةَ. وَالسَّتْرُ أَفْضَلُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا التَّشَبُّهُ بِأَهْلِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ: لَكَفَى بِهِ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "فَخَبِّرْ".

وَالْمَعْنَى: أَنَّكَ كُنْتَ يَتِيمًا، وَضَالًّا وَعَائِلًا، فَآوَاكَ اللَّهُ، وَهَدَاكَ: وَأَغْنَاكَ، فَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ وَعَلَى مَا خُيِّلْتَ فَلَا تَنْسَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ. وَاقْتَدِ بِاللَّهِ، فَتَعَطَّفْ عَلَى الْيَتِيمِ وَآوِهِ، فَقَدْ ذُقْتَ الْيُتْمَ وَهَوَانَهُ، وَرَأَيْتَ كَيْفَ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَى السَّائِلِ وَتَفَقَّدْهُ بِمَعْرُوفِكَ، وَلَا تَزْجُرْهُ عَنْ بَابِكَ، كَمَا رَحِمَكَ رَبُّكَ فَأَغْنَاكَ بَعْدَ الْفَقْرِ، وَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ كُلِّهَا، وَيُدْخِلُ تَحْتَهُ هِدَايَتُهُ مِنَ الضَّلَالِ، وَتَعْلِيمُهُ الشَّرَائِعَ وَالْقُرْآنَ، مُقْتَدِيًا بِاللَّهِ فِي أَنْ هَدَاهُ مِنَ الضَّلَالِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الضُّحَى] جَعَلَهُ اللَّهُ فِيمَنْ يَرْضَى لِمُحَمَّدٍ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ وَعَشْرُ حَسَنَاتٍ يَكْتُبُهَا اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ يَتِيمٍ وَسَائِلٍ".

---

[1] سورة ، الآية .

سُورَةُ الشَّرْحِ

سُورَةُ الشَّرْحِ

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ
[نَزَلَتْ بَعْدَ الضُّحَى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]

اسْتَفْهَمَ عَنِ انْتِفَاءِ الشَّرْحِ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ، فَأَفَادَ إِثْبَاتَ الشَّرْحِ وَإِيجَابَهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَيْهِ: وَضَعْنَا: اعْتِبَارًا لِلْمَعْنَى.

وَمَعْنَى: شَرَحْنَا صَدْرَكَ: فَسَّحْنَاهُ حَتَّى وَسِعَ عُمُومَ النُّبُوَّةِ وَدَعْوَةَ الثَّقَلَيْنِ جَمِيعًا. أَوْ حَتَّى احْتَمَلَ الْمَكَارِهَ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَكَ بِهَا كُفَّارُ قَوْمِكَ وَغَيْرُهُمْ: أَوْ فَسَّحْنَاهُ بِمَا أَوْدَعْنَاهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ، وَأَزَلْنَا عَنْهُ الضِّيقَ وَالْحَرَجَ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْعَمَى وَالْجَهْلِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: مُلِئَ حِكْمَةً وَعِلْمًا.

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ قَرَأَ: "أَلَمْ نَشْرَحَ لَكَ" بِفَتْحِ الْحَاءِ. وَقَالُوا: لَعَلَّهُ بَيْنَ الْحَاءِ وَأَشْبَعَهَا فِي مَخْرَجِهَا، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّهُ فَتَحَهَا، وَالْوِزْرُ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَهُ –أَيْ: حَمَلَهُ عَلَى النَّقِيضِ وَهُوَ صَوْتُ الِانْتِقَاضِ وَالِانْفِكَاكِ لِثِقَلِهِ– مَثَلٌ لِمَا كَانَ يَثْقُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

---

[1] سورة ، الآية .

–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَيَغُمُّهُ مِنْ فُرُطَاتِهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ. أَوْ مِنْ جَهْلِهِ بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ. أَوْ مِنْ تَهَالُكِهِ عَلَى إِسْلَامِ أُولِي الْعِنَادِ مِنْ قَوْمِهِ وَتَلَهُّفِهِ.

وَوَضْعُهُ عَنْهُ: أَنْ غَفَرَ لَهُ، أَوْ عُلِّمَ الشَّرَائِعَ، أَوْ مَهَّدَ عُذْرَهُ بَعْدَ مَا بَلَغَ وَبَلَغَ.

وَقَرَأَ أَنَسٌ: "وَحَلَلْنَا" حَطَطْنَا. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَحَلَلْنَا عَنْكَ وِقْرَكَ".

وَرَفْعُ ذِكْرِهِ: أَنْ قُرِنَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالتَّشَهُّدِ وَالْخُطَبِ، وَفِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التَّوْبَة: 62]، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1] [النِّسَاء: 13]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[2] [الْمَائِدَة: 922].

وَفِي تَسْمِيَتِهِ رَسُولَ اللَّهِ وَنَبِيَّ اللَّهِ، وَمِنْهُ ذِكْرُهُ فِي كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، وَالْأَخْذُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي زِيَادَةِ ﴿لَكَ﴾[3]، وَالْمَعْنَى مُسْتَقِلٌّ بِدُونِهِ؟

قُلْتُ: فِي زِيَادَةِ ﴿لَكَ﴾[4] مَا فِي طَرِيقَةِ الْإِبْهَامِ وَالْإِيضَاحِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ، فَفُهِمَ أَنَّ ثَمَّ مَشْرُوحًا، ثُمَّ قِيلَ: صَدْرَكَ، فَأَوْضَحَ مَا عُلِمَ مُبْهَمًا، وَكَذَلِكَ ﴿لَكَ ذِكْرَكَ وَ عَنْكَ وِزْرَكَ﴾[5].

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[6]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[7] بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُعَيِّرُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْفَقْرِ وَالضِّيقَةِ، حَتَّى سَبَقَ إِلَى وَهْمِهِ أَنَّهُمْ رَغِبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ لِافْتِقَارِ أَهْلِهِ وَاحْتِقَارِهِمْ، فَذَكَّرَهُ مَا

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ جَلَائِلِ النِّعَمِ ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]، كَأَنَّهُ قَالَ: خَوَّلْنَاكَ مَا خَوَّلْنَاكَ فَلَا تَيْأَسْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ يُسْرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿إِنَّ مَعَ﴾[2] لِلصُّحْبَةِ، فَمَا مَعْنَى اصْطِحَابِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ؟ قُلْتُ: أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ يُصِيبُهُمْ بِيُسْرٍ بَعْدَ الْعُسْرِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ بِزَمَانٍ قَرِيبٍ، فَقَرَّبَ الْيُسْرَ الْمُتَرَقَّبَ حَتَّى جَعَلَهُ كَالْمُقَارِنِ لِلْعُسْرِ، زِيَادَةً فِي التَّسْلِيَةِ وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ" وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا :أَنَّهُ خَرَجَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَقُولُ: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ". قُلْتُ: هَذَا عَمَلٌ عَلَى الظَّاهِرِ، وَبِنَاءً عَلَى قُوَّةِ الرِّجَالِ، وَأَنَّ مَوْعِدَ اللَّهِ لَا يُحْمَلُ إِلَّا عَلَى أَوْفَى مَا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ وَأَبْلَغُهُ، وَالْقَوْلُ فِي أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تَكْرِيرًا لِلْأُولَى كَمَا كَرَّرَ قَوْلَهُ: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [الطُّورِ: 11]. لِتَقْرِيرِ مَعْنَاهَا فِي النُّفُوسِ وَتَمْكِينِهَا فِي الْقُلُوبِ، وَكَمَا يُكَرَّرُ الْمُفْرَدُ فِي قَوْلِكَ: جَاءَنِي زَيْدٌ زَيْدٌ، وَأَنْ تَكُونَ الْأُولَى عِدَةً بِأَنَّ الْعُسْرَ مَرْدُوفٌ بِيُسْرٍ لَا مَحَالَةَ، وَالثَّانِيَةُ عِدَةً مُسْتَأْنَفَةً بِأَنَّ الْعُسْرَ مَتْبُوعٌ بِيُسْرٍ، فَهُمَا يُسْرَانِ عَلَى تَقْدِيرِ الِاسْتِئْنَافِ.

وَإِنَّمَا كَانَ الْعُسْرُ وَاحِدًا لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو، إِمَّا أَنْ يَكُونَ تَعْرِيفُهُ لِلْعَهْدِ، وَهُوَ الْعُسْرُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَهُوَ هُوَ، لِأَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ زَيْدٍ فِي قَوْلِكَ: إِنَّ مَعَ زَيْدٍ مَالًا، إِنَّ مَعَ زَيْدٍ مَالًا. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلْجِنْسِ الَّذِي يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فَهُوَ هُوَ أَيْضًا.

وَأَمَّا الْيُسْرُ فَمُنَكَّرٌ مُتَنَاوِلٌ لِبَعْضِ الْجِنْسِ، فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ الثَّانِي مُسْتَأْنَفًا غَيْرَ مُكَرَّرٍ فَقَدْ تَنَاوَلَ بَعْضًا غَيْرَ الْبَعْضِ الْأَوَّلِ بِغَيْرِ إِشْكَالٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا الْمُرَادُ بِالْيُسْرَيْنِ؟ قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِمَا مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الْفُتُوحِ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمَا تَيَسَّرَ لَهُمْ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ، وَأَنْ يُرَادَ يُسْرُ الدُّنْيَا وَيُسْرُ الْآخِرَةِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[3]التَّوْبَةِ: 522]. وَهُمَا حُسْنَى الظَّفَرِ وَحُسْنَى الثَّوَابِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى هَذَا التَّنْكِيرِ؟ قُلْتُ: التَّفْخِيمُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا عَظِيمًا وَأَيُّ يُسْرٍ، وَهُوَ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرَّةً وَاحِدَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا ثَبَتَ فِي قِرَاءَتِهِ غَيْرَ مُكَرَّرٍ، فَلِمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرٍ لَطَلَبَهُ الْيُسْرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ؟

قُلْتُ: كَأَنَّهُ قَصَدَ بِالْيُسْرَيْنِ: مَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يُسْرًا﴾[1] مِنْ مَعْنَى التَّفْخِيمِ، فَتَأَوَّلَهُ بِيُسْرِ الدَّارَيْنِ، وَذَلِكَ يُسْرَانِ فِي الْحَقِيقَةِ.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[2]

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾[3] بِمَا قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَمَّا عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ السَّالِفَةَ وَوَعَدَهُ الْآنِفَةَ، بَعَثَهُ عَلَى الشُّكْرِ وَالِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالنَّصَبِ فِيهَا، وَأَنْ يُوَاصِلَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَبَعْضٍ، وَيُتَابِعَ وَيَحْرِصَ عَلَى أَنْ لَا يُخْلِيَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِهِ مِنْهَا، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ عِبَادَةٍ ذَنَبَهَا بِأُخْرَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْغَزْوِ فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَانْصَبْ فِي صَلَاتِكَ.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَشِيلُ حَجَرًا فَقَالَ: لَيْسَ بِهَذَا أُمِرَ الْفَارِغُ، وَقُعُودُ الرَّجُلِ فَارِغًا مِنْ غَيْرِ شُغْلٍ أَوِ اشْتِغَالُهُ بِمَا لَا يُعِينُهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ: مِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ وَسَخَافَةِ الْعَقْلِ وَاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ، وَلَقَدْ قَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدَكُمْ فَارِغًا سَبَهْلَلًا لَا فِي عَمَلِ دُنْيَا وَلَا فِي عَمَلِ آخِرَةٍ.

وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: "فَرِغْتَ" بِكَسْرِ الرَّاءِ وَلَيْسَتْ بِفَصِيحَةٍ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَمِنَ الْبِدَعِ: مَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الرَّافِضَةِ أَنَّهُ قَرَأَ: فَانْصِبْ، بِكَسْرِ الصَّادِ، أَيْ: فَانْصِبْ عَلِيًّا لِلْإِمَامَةِ، وَلَوْ صَحَّ هَذَا لِلرَّافِضِيِّ لَصَحَّ لِلنَّاصِبِيِّ أَنْ يَقْرَأَ هَكَذَا، وَيَجْعَلَهُ أَمْرًا بِالنَّصْبِ الَّذِي هُوَ بُغْضُ عَلِيٍّ وَعَدَاوَتُهُ.

﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[1]، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَيْهِ خُصُوصًا، وَلَا تَسْأَلْ إِلَّا فَضْلَهُ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ. وَقُرِئَ: "فَرَغِّبِ" أَيْ: رَغِّبِ النَّاسَ إِلَى طَلَبِ مَا عِنْدَهُ.

عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ أَلَمْ نَشْرَحْ، فَكَأَنَّمَا جَاءَنِي وَأَنَا مُغْتَمٌّ فَفَرَّجَ عَنِّي".

[1] سورة ، الآية .

سُورَةُ التِّينِ

سُورَةُ التِّينِ

مَكِّيَّةٌ،
آيَاتُهَا ثَمَانٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[1]

أَقْسَمَ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا عَجِيبَانِ مِنْ بَيْنِ أَصْنَافِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ.

وَرُوِيَ :أَنَّهُ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَبَقٌ مِنْ تِينٍ فَأَكَلَ مِنْهُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "كُلُوا، فَلَوْ قُلْتُ: إِنَّ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ لَقُلْتُ هَذِهِ، لِأَنَّ فَاكِهَةَ الْجَنَّةِ بِلَا عَجَمٍ، فَكُلُوهَا. فَإِنَّهَا تَقْطَعُ الْبَوَاسِيرَ وَتَنْفَعُ مِنَ النِّقْرِسِ".

وَمَرَّ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِشَجَرَةِ الزَّيْتُونِ فَأَخَذَ مِنْهَا قَضِيبًا وَاسْتَاكَ بِهِ وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "نِعْمَ السِّوَاكُ الزَّيْتُونُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ يُطَيِّبُ الْفَمَ وَيُذْهِبُ بِالْحُفْرَةِ". وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "هِيَ سِوَاكِي وَسِوَاكُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي".

---

[1] سورة ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: هُوَ تِينُكُمْ هَذَا وَزَيْتُونُكُمْ.

وَقِيلَ: جَبَلَانِ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يُقَالُ لَهُمَا بِالسُّرْيَانِيَّةِ: طُورِتِينَا وَطُورِزِيتَا، لِأَنَّهُمَا مَنْبَتَا التِّينِ وَالزَّيْتُونِ.

وَقِيلَ: "التِّينُ" جِبَالٌ مَا بَيْنَ حُلْوَانَ وَهَمْدَانَ.

وَ"الزَّيْتُونُ": جِبَالُ الشَّامِ، لِأَنَّهَا مَنَابِتُهُمَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَنَابِتُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ.

وَأُضِيفَ الطُّورُ: وَهُوَ الْجَبَلُ، إِلَى سِينِينَ: وَهِيَ الْبُقْعَةُ. وَنَحْوَ سِينُونَ: يَبْرُونَ، فِي جَوَازِ الْإِعْرَابِ بِالْوَاوِ وَالْيَاءِ، وَالْإِقْرَارُ عَلَى الْيَاءِ، وَتَحْرِيكِ النُّونِ بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ.

وَلِلْبَلَدِ :مَكَّةُ حَمَاهَا اللَّهُ. وَالْأَمِينُ: مِنْ أَمِنَ الرَّجُلُ أَمَانَةً فَهُوَ أَمِينٌ.

وَقِيلَ: أَمَانٌ، كَمَا قِيلَ: كِرَامٌ فِي كِرِيمٍ. وَأَمَانَتُهُ: أَنْ يَحْفَظَ مَنْ دَخَلَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْأَمِينُ مَا يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِنْ أَمِنَهُ لِأَنَّهُ مَأْمُونُ الْغَوَائِلِ، كَمَا وُصِفَ بِالْأَمْنِ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾[1]]الْقَصَصِ: 577]. بِمَعْنَى ذِي أَمْنٍ: وَمَعْنَى الْقَسَمِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ: الْإِبَانَةُ عَنْ شَرَفِ الْبِقَاعِ الْمُبَارَكَةِ، وَمَا ظَهَرَ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ بِسُكْنَى الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

فَمَنْبَتُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ مُهَاجَرُ إِبْرَاهِيمَ وَمَوْلِدُ عِيسَى وَمَنْشَؤُهُ، وَالطُّورُ: الْمَكَانُ الَّذِي نُودِيَ مِنْهُ مُوسَى.

وَمَكَّةُ: مَكَانُ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ هُدًى لِلْعَالَمِينَ، وَمَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبْعَثُهُ.

﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2]: فِي أَحْسَنِ تَعْدِيلٍ لِشَكْلِهِ وَصُورَتِهِ وَتَسْوِيَةٍ لِأَعْضَائِهِ.

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ حِينَ لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ تِلْكَ الْخِلْقَةِ الْحَسَنَةِ الْقَوِيمَةِ السَّوِيَّةِ: أَنْ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ مَنْ سَفُلَ خَلْقًا وَتَرْكِيبًا، يَعْنِي: أَقْبَحَ مَنْ قَبُحَ صُورَةً وَأَشْوَهَهُ خِلْقَةً، وَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ أَوْ أَسْفَلَ مَنْ سَفُلَ مِنْ أَهْلِ الدَّرَكَاتِ. أَوْ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ التَّقْوِيمِ وَالتَّحْسِينِ أَسْفَلَ مَنْ سَفُلَ فِي حُسْنِ الصُّورَةِ وَالشَّكْلِ: حَيْثُ نَكَّسْنَاهُ فِي خَلْقِهِ، فَقُوِّسَ ظَهْرُهُ بَعْدَ اعْتِدَالِهِ، وَابْيَضَّ شَعْرُهُ بَعْدَ سَوَادِهِ، وَتَشَنَّنَ جِلْدُهُ وَكَانَ بَضًّا وَكَلَّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَكَانَا حَدِيدَيْنِ، وَتَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ: فَمَشْيُهُ دَلِيفٌ، وَصَوْتُهُ خُفَاتٌ، وَقُوَّتُهُ ضَعْفٌ، وَشَهَامَتُهُ خَرَفٌ.

وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: "أَسْفَلَ السَّافِلِينَ".

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ؟

قُلْتُ: هُوَ عَلَى الْأَوَّلِ مُتَّصِلٌ ظَاهِرُ الِاتِّصَالِ، وَعَلَى الثَّانِي: مُنْقَطِعٌ.

يَعْنِي: وَلَكِنِ الَّذِينَ كَانُوا صَالِحِينَ مِنَ الْهَرْمَى فَلَهُمْ ثَوَابٌ دَائِمٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى ابْتِلَاءِ اللَّهِ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ، وَعَلَى مُقَاسَاةِ الْمَشَاقِّ وَالْقِيَامِ بِالْعِبَادَةِ عَلَى تَخَاذُلِ نُهُوضِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾[1] مَنِ الْمُخَاطَبُ بِهِ؟ قُلْتُ: هُوَ خِطَابٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ، أَيْ: فَمَا يَجْعَلُكَ كَاذِبًا بِسَبَبِ الدِّينِ وَإِنْكَارِهِ بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ، يَعْنِي: أَنَّكَ تُكَذِّبُ إِذَا كَذَّبْتَ بِالْجَزَاءِ، لِأَنَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ بِالْحَقِّ فَهُوَ كَاذِبٌ، فَأَيُّ شَيْءٍ يَضْطَرُّكَ إِلَى أَنْ تَكُونَ كَاذِبًا بِسَبَبِ تَكْذِيبِ الْجَزَاءِ. وَالْبَاءُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[2]]النَّحْلِ: 1000].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ نُطْفَةٍ، وَتَقْوِيمَهُ بَشَرًا سَوِيًّا وَتَدْرِيجَهُ فِي مَرَاتِبِ الزِّيَادَةِ إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَيَسْتَوِيَ، ثُمَّ تَنْكِيسَهُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَرْذَلَ الْعُمُرِ: لَا تَرَى دَلِيلًا أَوْضَحَ مِنْهُ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ مِنَ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذَا كُلِّهِ: لَمْ يَعْجِزْ عَنْ إِعَادَتِهِ، فَمَا سَبَبُ تَكْذِيبِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بِالْجَزَاءِ بَعْدَ هَذَا الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ.

وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[3] وَعِيدٌ لِلْكُفَّارِ، وَأَنَّهُ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا قَالَ: "بَلَى وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [التِّينِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ خَصْلَتَيْنِ: الْعَافِيَةَ وَالْيَقِينَ مَا دَامَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَإِذَا مَاتَ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ".

سُورَةُ [الْعَلَقِ]

سُورَةُ [الْعَلَقِ]

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ
وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْفَاتِحَةَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ ثُمَّ سُورَةُ الْقَلَمِ.

مَحَلُّ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2] النُّصْبُ عَلَى الْحَالِ، أَيِ: اقْرَأْ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اقْرَأْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: "خَلَقَ" فَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَفْعُولًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾[3]؟

قُلْتُ: هُوَ عَلَى وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَنْ لَا يُقَدَّرُ لَهُ مَفْعُولٌ وَأَنْ يُرَادَ أَنَّهُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ الْخَلْقُ وَاسْتَأْثَرَ بِهِ لَا خَالِقَ سِوَاهُ. وَإِمَّا أَنْ يُقَدَّرَ وَيُرَادَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَيَتَنَاوَلُ كُلَّ مَخْلُوقٍ، لِأَنَّهُ مُطْلَقٌ، فَلَيْسَ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ أَوْلَى بِتَقْدِيرِهِ مِنْ بَعْضٍ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾[1] تَخْصِيصٌ لِلْإِنْسَانِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْخَلْقُ، لِأَنَّ التَّنْزِيلَ إِلَيْهِ وَهُوَ أَشْرَفُ مَا عَلَى الْأَرْضِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، كَمَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾[2]]الرَّحْمَن: 1-2-3[. فَقِيلَ: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾[3] مُبْهَمًا، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾[4] تَفْخِيمًا لِخَلْقِ الْإِنْسَانِ. وَدَلَالَةً عَلَى عَجِيبِ فِطْرَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾[5] عَلَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ عَلَقَةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾[6]]غَافِرٍ: 67[.

قُلْتُ: لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[7]]الْعَصْرِ: 2[.

﴿الْأَكْرَمُ﴾[8]: الَّذِي لَهُ الْكَمَالُ فِي زِيَادَةِ كَرَمِهِ عَلَى كُلِّ كَرَمٍ، يُنْعِمُ عَلَى عِبَادِهِ النِّعَمَ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَيَحْلُمُ عَنْهُمْ فَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ لِنِعَمِهِ وَرُكُوبِهِمُ الْمَنَاهِيَ وَاطِّرَاحِهِمُ الْأَوَامِرَ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُمْ بَعْدَ اقْتِرَافِ الْعَظَائِمِ، فَمَا لِكَرَمِهِ غَايَةٌ وَلَا أَمَدٌ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ التَّكَرُّمِ بِإِفَادَةِ الْفَوَائِدِ الْعِلْمِيَّةِ تَكَرُّمٌ، حَيْثُ قَالَ: الْأَكْرَمُ.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[9]، فَدَلَّ عَلَى كَمَالِ كَرَمِهِ بِأَنَّهُ عَلَّمَ عِبَادَهُ مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَنَقَلَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِ عِلْمِ الْكِتَابَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا هُوَ، وَمَا دُوِّنَتِ الْعُلُومُ وَلَا قُيِّدَتِ الْحِكَمُ وَلَا ضُبِطَتْ أَخْبَارُ الْأَوَّلِينَ وَمَقَالَاتُهُمْ، وَلَا كُتُبُ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةُ إِلَّا بِالْكِتَابَةِ، وَلَوْلَا هِيَ لَمَا

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .
[9] سورة ، الآية .

اسْتَقَامَتْ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دَقِيقِ حِكْمَةِ اللَّهِ وَلَطِيفِ تَدْبِيرِهِ دَلِيلٌ إِلَّا أَمْرُ الْقَلَمِ وَالْخَطِّ، لَكَفَى بِهِ. وَلِبَعْضِهِمْ فِي صِفَةِ الْقَلَمِ:

وَرَوَاقِمٍ رُقْشٍ كَمِثْلِ أَرَاقِمٍ قُطْفِ الْخُطَا نَيَّالَةٍ أَقْصَى الْمَـــــدَى
سُودُ الْقَوَائِمِ مَا يَجِدُّ مَسِيرُهَـــا إِلَّا إِذَا لَعِبَتْ بِهَا بِيضُ الْمُدَى

وَقَرَأَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: "عَلَّمَ الْخَطِّ بِالْقَلَمِ".

﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[1]

﴿كَلاَّ﴾[2]: رَدْعٌ لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِطُغْيَانِهِ، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

﴿أَنْ رَآهُ﴾[3]: أَنْ رَأَى نَفْسَهُ. يُقَالُ: فِي أَفْعَالِ الْقُلُوبِ: رَأَيْتُنِي وَعَلِمْتُنِي، وَذَلِكَ بَعْضُ خَصَائِصِهَا.

وَمَعْنَى الرُّؤْيَةِ: الْعِلْمُ، وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى الْإِبْصَارِ، لَامْتَنَعَ فِي فِعْلِهَا الْجَمْعُ بَيْنَ الضَّمِيرَيْنِ.

وَ﴿اسْتَغْنَى﴾[4] هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي.

﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[5]: وَاقِعٌ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْإِنْسَانِ، تَهْدِيدًا لَهُ وَتَحْذِيرًا مِنْ عَاقِبَةِ الطُّغْيَانِ.

وَالرُّجْعَى: مَصْدَرٌ كَالْبُشْرَى بِمَعْنَى الرُّجُوعِ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .

وَكَذَلِكَ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾[1].

وَرُوِيَ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَتَزْعُمُ أَنَّ مَنِ اسْتَغْنَى طَغَى، فَاجْعَلْ لَنَا جِبَالَ مَكَّةَ فِضَّةً وَذَهَبًا، لَعَلَّنَا نَأْخُذُ مِنْهَا فَنَطْغَى فَنَدَعُ دِينَنَا وَنَتَّبِعُ دِينَكَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْنَا ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَعَلْنَا بِهِمْ مَا فَعَلْنَا بِأَصْحَابِ الْمَائِدَةِ، فَكَفَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ الدُّعَاءِ إِبْقَاءً عَلَيْهِمْ.

وَرُوِيَ عَنْهُ –لَعَنَهُ اللَّهُ– أَنَّهُ قَالَ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَأَطَأَنَّ عُنُقَهُ، فَجَاءَهُ ثُمَّ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً".

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾[2]، وَمَعْنَاهُ: أَخْبِرْنِي عَمَّنْ يَنْهَى بَعْضَ عِبَادِ اللَّهِ عَنْ صِلَاتِهِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ النَّاهِي عَلَى طَرِيقَةٍ سَدِيدَةٍ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ. أَوْ كَانَ آمِرًا بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّقْوَى فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ كَمَا يَعْتَقِدُ، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْحَقِّ وَالتَّوَلِّي عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، كَمَا نَقُولُ نَحْنُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[3]، وَيَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ هُدَاهُ وَضَلَالِهِ فَيُجَازِيهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ.

وَهَذَا وَعِيدٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مُتَعَلِّقُ أَرَأَيْتَ؟

قُلْتُ: الَّذِي يَنْهَى مَعَ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ، وَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَأَيْنَ جَوَابُ الشَّرْطِ؟

قُلْتُ: هُوَ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟ وَإِنَّمَا حُذِفَ لِدَلَالَةِ ذِكْرِهِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ الثَّانِي.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ صَحَّ أَنْ يَكُونَ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾[4]: جَوَابًا لِلشَّرْطِ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

قُلْتُ: كَمَا صَحَّ فِي قَوْلِكَ: إِنْ أَكْرَمْتُكَ أَتُكْرِمُنِي؟ وَإِنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ زَيْدٌ هَلْ تُحْسِنُ إِلَيْهِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا أَرَأَيْتَ الثَّانِيَةُ وَتَوَسُّطُهَا بَيْنَ مَفْعُولِ أَرَأَيْتَ؟

قُلْتُ: هِيَ زَائِدَةٌ مُكَرَّرَةٌ لِلتَّوْكِيدِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ كَانَ يَنْهَى سَلْمَانَ عَنِ الصَّلَاةِ.

﴿كَلَّا﴾[1] رَدْعٌ لِأَبِي جَهْلٍوَخُسُوءٌ لَهُ عَنْ نَهْيِهِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ بِعِبَادَةِ اللَّاتِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾[2] عَمَّا هُوَ فِيهِ،

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[3]: لِنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ وَلَنَسْحَبَنَّهُ بِهَا إِلَى النَّارِ.

وَالسَّفْعُ: الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ وَجَذْبُهُ بِشِدَّةٍ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ:

قَوْمٌ إِذَا يَقَعُ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

وَقُرِئَ: لَنَسْفَعَنَّ، بِالنُّونِ الْمُشَدَّدَةِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ :لَأَسْفَعًا. وَكَتَبْتُهَا فِي الْمُصْحَفِ بِالْأَلِفِ عَلَى حُكْمِ الْوَقْفِ، وَلَمَّا عُلِمَ أَنَّهَا نَاصِيَةُ الْمَذْكُورِ: اكْتَفَى بِلَامِ الْعَهْدِ عَنِ الْإِضَافَةِ "نَاصِيَةٌ" بَدَلٌ مِنَ النَّاصِيَةِ، جَازَ بَدَلُهَا عَنِ الْمَعْرِفَةِ، وَهِيَ نَكِرَةٌ، لِأَنَّهَا وُصِفَتْ فَاسْتَقَلَّتْ بِفَائِدَةٍ.

وَقُرِئَ: نَاصِيَةٌ عَلَى: هِيَ نَاصِيَةٌ، وَنَاصِيَةً بِالنَّصْبِ. وَكِلَاهُمَا عَلَى الشَّتْمِ. وَوَصَفَهَا بِالْكَذِبِ وَالْخَطَأِ عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ. وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ لِصَاحِبِهَا.

وَفِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَزَالَةِ مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ: نَاصِيَةُ كَاذِبٍ خَاطِئٍ.

وَالنَّادِي: الْمَجْلِسُ الَّذِي يُنْتَدَى فِيهِ الْقَوْمُ. أَيْ: يَجْتَمِعُونَ. وَالْمُرَادُ: أَهْلُ النَّادِي.

كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ .....

وَقَالَ زُهَيْرٌ:

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَالْمَقَامَةُ: الْمَجْلِسُ.

رُوِيَ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ؟ فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: "أَتُهَدِّدُنِي وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا"، فَنَزَلَتْ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: سَيُدْعَى الزَّبَانِيَةُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَالزَّبَانِيَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الشُّرَطُ، الْوَاحِدُ، زِبْنِيَةٌ، كَعِفْرِيَةٍ، مِنَ الزَّبْنِ: وَهُوَ الدَّفْعُ.

وَقِيلَ: زَبْنِيٌّ، وَكَأَنَّهُ نُسِبَ إِلَى الزَّبْنِ، ثُمَّ غُيِّرَ لِلنَّسَبِ، كَقَوْلِهِمْ: أَمْسَى، وَأَصْلُهُ: زَبَانِيٌّ، فَقِيلَ: زَبَانِيَةٌ عَلَى التَّعْوِيضِ.

وَالْمُرَادُ: مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ عِيَانًا".

﴿كَلَّا﴾[1]: رَدْعٌ لِأَبِي جَهْلٍ، ﴿لَا تُطِعْهُ﴾[2]، أَيِ: اثْبُتْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِصْيَانِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3]]الْقَلَمِ: 88].

﴿وَاسْجُدْ﴾[4]: وَدُمْ عَلَى سُجُودِكَ، يُرِيدُ: الصَّلَاةَ.

﴿وَاقْتَرِبْ﴾[5]: وَتَقَرَّبْ إِلَى رَبِّكَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ إِذَا سَجَدَ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْعَلَقِ] أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ الْمُفَصَّلَ كُلَّهُ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

سُورَةُ [الْقَدْرِ]

سُورَةُ [الْقَدْرِ]

مَكِّيَّةٌ
وَقِيلَ مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [عَبَسَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1]

عَظُمَ الْقُرْآنُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

– أَحَدُهَا: أَنْ أَسْنَدَ إِنْزَالَهُ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُ مُخْتَصًّا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ،

– وَالثَّانِي: أَنَّهُ جَاءَ بِضَمِيرِهِ دُونَ اسْمِهِ الظَّاهِرِ شَهَادَةً لَهُ بِالنَّبَاهَةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ.

– وَالثَّالِثُ: الرَّفْعُ مِنْ مِقْدَارِ الْوَقْتِ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ.

رُوِيَ أَنَّهُ أُنْزِلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. وَأَمْلَاهُ جِبْرِيلُ عَلَى السَّفَرَةِ، ثُمَّ كَانَ يُنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نُجُومًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: الْمَعْنَى إِنَّا ابْتَدَأْنَا إِنْزَالَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِهَا فَأَكْثَرُهُمْ عَلَى أَنَّهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي أَوْتَارِهَا.

---

[1] سورة ، الآية .

وَأَكْثَرُ الْقَوْلِ أَنَّهَا السَّابِعَةُ مِنْهَا، وَلَعَلَّ الدَّاعِيَ إِلَى إِخْفَائِهَا أَنْ يُحْيِيَ مَنْ يُرِيدُهَا اللَّيَالِيَ الْكَثِيرَةَ: طَلَبًا لِمُوَافَقَتِهَا، فَتَكْثُرُ عِبَادَتُهُ وَيَتَضَاعَفُ ثَوَابُهُ، وَأَنْ لَا يَتَّكِلُ النَّاسُ عِنْدَ إِظْهَارِهَا عَلَى إِصَابَةِ الْفَضْلِ فِيهَا فَيُفَرِّطُوا فِي غَيْرِهَا.

وَمَعْنَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ: لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَقَضَائِهَا، وَمِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1]]الدُّخَانِ: 4].

وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِخَطَرِهَا وَشَرَفِهَا عَلَى سَائِرِ اللَّيَالِي.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[2]، يَعْنِي: وَلَمْ تَبْلُغْ دِرَايَتُكَ غَايَةَ فَضْلِهَا وَمُنْتَهَى عُلُوِّ قَدْرِهَا، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ بِأَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَبَبُ ارْتِقَاءِ فَضْلِهَا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ مَا يُوجَدُ فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا: مِنْ تَنَزُّلِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، وَفَصْلِ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَذُكِرَ فِي تَخْصِيصِ هَذِهِ الْمُدَّةِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجِبَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَقَاصَرَتْ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، فَأُعْطَوْا لَيْلَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ مُدَّةِ ذَلِكَ الْغَازِي.

وَقِيلَ: إِنَّ الرَّجُلَ فِيمَا مَضَى مَا كَانَ يُقَالُ لَهُ عَابِدٌ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ أَلْفَ شَهْرٍ، فَأُعْطَوْا لَيْلَةً إِنْ أَحْيَوْهَا كَانُوا أَحَقَّ بِأَنْ يُسَمَّوْا عَابِدِينَ مِنْ أُولَئِكَ الْعُبَّادِ.

﴿تَنَزَّلُ﴾[3] إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: إِلَى الْأَرْضِ.

﴿وَالرُّوحُ﴾[4]: جِبْرِيلُ.

وَقِيلَ: خَلْقٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَرَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[5]، أَيْ: تَتَنَزَّلُ مِنْ أَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللَّهُ لِتِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ.

وَقُرِئَ: مِنْ كُلِّ امْرِئٍ، أَيْ: مِنْ أَجْلِ كُلِّ إِنْسَانٍ. وَقِيلَ: لَا يَلْقَوْنَ مُؤْمِنًا وَلَا مُؤْمِنَةً إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿سَلامٌ هِيَ﴾[1] مَا هِيَ إِلَّا سَلَامَةٌ، أَيْ: لَا يُقَدِّرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا السَّلَامَةَ وَالْخَيْرَ، وَيَقْضِي فِي غَيْرِهَا بَلَاءً وَسَلَامَةً. أَوْ: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ لِكَثْرَةِ مَا يُسَلِّمُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

وَقُرِئَ: مَطْلَعِ بِفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْقَدْرِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ".

[1] سورة ، الآية .

سورة [البينة]

سورة]البينة[

مَكِّيَّةٌ،
وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الطَّلَاقِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[1]

كَانَ الْكُفَّارُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ يَقُولُونَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: لَا نَنْفَكُّ مِمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ دِينِنَا وَلَا نَتْرُكُهُ حَتَّى يُبْعَثَ النَّبِيُّ

[1] سورة ، الآية .

الْمَوْعُودُ الَّذِي هُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَحَكَى اللَّهُ -تَعَالَى- مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[1] يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعِدُونَ اجْتِمَاعَ الْكَلِمَةِ وَالِاتِّفَاقَ عَلَى الْحَقِّ: إِذَا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ، ثُمَّ مَا فَرَّقَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَلَا أَقَرَّهُمْ عَلَى الْكُفْرِ إِلَّا مَجِيءُ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَنَظِيرُهُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ الْفَقِيرُ الْفَاسِقُ لِمَنْ يَعِظُهُ: لَسْتُ بِمُنْفَكٍّ مِمَّا أَنَا فِيهِ حَتَّى يَرْزُقَنِي اللَّهُ الْغِنَى، فَيَرْزُقُهُ اللَّهُ الْغِنَى فَيَزْدَادُ فِسْقًا، فَيَقُولُ وَاعِظُهُ: لَمْ تَكُنْ مُنْفَكًّا عَنِ الْفِسْقِ حَتَّى تُوسِرَ، وَمَا غَمَسْتَ رَأْسَكَ فِي الْفِسْقِ إِلَّا بَعْدَ الْيَسَارِ: يُذَكِّرُهُ مَا كَانَ يَقُولُهُ تَوْبِيخًا وَإِلْزَامًا. وَانْفِكَاكُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ. أَنْ يُزَايِلَهُ بَعْدَ الْتِحَامِهِ بِهِ، كَالْعَظْمِ إِذَا انْفَكَّ مِنْ مِفْصَلِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ مُتَشَبِّثُونَ بِدِينِهِمْ وَلَا يَتْرُكُونَهُ إِلَّا عِنْدَ مَجِيءِ الْبَيِّنَةِ.

وَ﴿الْبَيِّنَةُ﴾[2]: الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ.

وَ﴿رَسُولٌ﴾[3] بَدَلٌ مِنَ الْبَيِّنَةِ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: رَسُولًا حَالًا مِنَ الْبَيِّنَةِ "صُحُفًا" قَرَاطِيسَ "مُطَهَّرَةً" مِنْ الْبَاطِلِ ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾[4] مَكْتُوبَاتٌ "قَيِّمَةٌ" مُسْتَقِيمَةٌ نَاطِقَةٌ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

وَالْمُرَادُ بِتَفَرُّقِهِمْ: تَفَرُّقُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَانْقِشَاعُهُمْ عَنْهُ. أَوْ تَفَرُّقُهُمْ فِرَقًا، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ، وَقَالَ: لَيْسَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَ وَعَانَدَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَمَعَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَوَّلًا ثُمَّ أَفْرَدَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[5]؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِهِ لِوُجُودِهِ فِي كُتُبِهِمْ، فَإِذَا وُصِفُوا بِالتَّفَرُّقِ عَنْهُ كَانَ مَنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَدْخَلَ فِي هَذَا الْوَصْفِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾[1]، يَعْنِي: فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا بِالدِّينِ الْحَنِيفِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ حَرَّفُوا وَبَدَّلُوا.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[2]، أَيْ: دِينُ الْمِلَّةِ الْقَيِّمَةِ. وَقُرِئَ: وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمَةُ عَلَى تَأْوِيلِ الدِّينِ بِالْمِلَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾[3]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَمَا أُمِرُوا بِمَا فِي الْكِتَابَيْنِ، إِلَّا لِأَجْلِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا"، بِمَعْنَى: بِأَنْ يَعْبُدُوا.

قَرَأَ نَافِعٌ: "الْبَرِيئَةِ" بِالْهَمْزِ، وَالْقُرَّاءُ عَلَى التَّخْفِيفِ.

وَالنَّبِيُّ، وَالْبَرِيَّةُ: مِمَّا اسْتَمَرَّ الِاسْتِعْمَالُ عَلَى تَخْفِيفِهِ وَرَفْضِ الْأَصْلِ.

وَقُرِئَ: خِيَارُ الْبَرِيَّةِ جَمْعُ خَيِّرٍ، كَجِيَادٍ وَطِيَابٍ: فِي جَمْعِ جَيِّدٍ وَطَيِّبٍ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ [لَمْ يَكُنْ] كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَسَاءً وَمُقْبِلًا".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مَدَنِيَّةٌ
وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ [النِّسَاءِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]

﴿زِلْزَالَهَا﴾[2] قُرِئَ: بِكَسْرِ الزَّايِ وَفَتْحِهَا، فَالْمَكْسُورُ: مَصْدَرٌ، وَالْمَفْتُوحُ: اسْمٌ، وَلَيْسَ فِي الْأَبْنِيَةِ فَعْلَالٌ بِالْفَتْحِ إِلَّا فِي الْمُضَاعَفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى زِلْزَالِهَا بِالْإِضَافَةِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ زِلْزَالُهَا الَّذِي تَسْتَوْجِبُهُ فِي الْحِكْمَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَهُوَ الزِّلْزَالُ الشَّدِيدُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ. وَنَحْوَهُ قَوْلُكَ: أَكْرِمِ التَّقِيَّ إِكْرَامَهُ، وَأَهِنِ الْفَاسِقَ إِهَانَتَهُ، تُرِيدُ: مَا يَسْتَوْجِبَانِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ أَوْ زِلْزَالَهَا كُلَّهُ وَجَمِيعَ مَا هُوَ مُمْكِنٌ مِنْهُ. الْأَثْقَالُ: جَمْعُ ثِقَلٍ. وَهُوَ مَتَاعُ الْبَيْتِ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ جَعَلَ مَا فِي جَوْفِهَا مِنَ الدَّفَائِنِ أَثْقَالًا لَهَا.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾[1] زُلْزِلَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةَ الشَّدِيدَةَ وَلَفَظَتْ مَا فِي بَطْنِهَا، وَذَلِكَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ حِينَ تُزَلْزَلُ وَتَلْفِظُ أَمْوَاتَهَا أَحْيَاءً، فَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِمَا يُبْهِرُهُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ، كَمَا يَقُولُونَ: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مَنْ مَرْقَدِنَا﴾[2]]يس: 52].

وَقِيلَ: هَذَا قَوْلُ الْكَافِرِ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى تَحْدِيثِ الْأَرْضِ وَالْإِيحَاءِ لَهَا؟ قُلْتُ: هُوَ مَجَازٌ عَنْ إِحْدَاثِ اللَّهِ –تَعَالَى– فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ مَا يَقُومُ مَقَامَ التَّحْدِيثِ بِاللِّسَانِ، حَتَّى يَنْظُرَ مَنْ يَقُولُ مَا لَهَا إِلَى تِلْكَ الْأَحْوَالِ، فَيَعْلَمُ لِمَ زُلْزِلَتْ وَلَمْ لَفَظَتِ الْأَمْوَاتَ؟ وَأَنَّ هَذَا مَا كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ يُنْذِرُونَهُ وَيُحَذِّرُونَ مِنْهُ.

وَقِيلَ: يُنْطِقُهَا اللَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَتُخْبِرُ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا".

فَإِنْ قُلْتَ: "إِذْ"، وَ"يَوْمَئِذٍ": مَا نَاصِبَهُمَا؟

قُلْتُ: "يَوْمَئِذٍ" بَدَلٌ مِنْ "إِذَا"، وَنَاصِبَهُمَا ﴿تُحَدِّثُ﴾[4].

وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ "إِذَا" بِمُضْمَرٍ، وَ "يَوْمَئِذٍ" بِتُحَدِّثُ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ مَفْعُولَا ﴿تُحَدِّثُ﴾[5]؟

قُلْتُ: قَدْ حُذِفَ أَوَّلُهُمَا، وَالثَّانِي: أَخْبَارَهَا، وَأَصْلُهُ تُحَدِّثُ الْخَلْقَ أَخْبَارَهَا، إِلَّا أَنَّ الْمَقْصُودَ ذِكْرُ تَحْدِيثِهَا الْأَخْبَارَ لَا ذِكْرُ الْخَلْقِ تَعْظِيمًا لِلْيَوْمِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَتِ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾[6]؟

قُلْتُ: بِتُحَدِّثُ، مَعْنَاهُ: تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِسَبَبِ إِيحَاءِ رَبِّكَ لَهَا، وَأَمْرِهِ إِيَّاهَا بِالتَّحْدِيثِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ بِتَحْدِيثِ أَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا أَخْبَارَهَا، عَلَى أَنَّ تَحْدِيثَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا: تَحْدِيثٌ بِأَخْبَارِهَا، كَمَا تَقُولُ: نَصَحْتَنِي كُلَّ نَصِيحَةٍ، بِأَنْ نَصَحْتَنِي فِي الدِّينِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾[1] بَدَلًا مِنْ ﴿أَخْبَارِهَا﴾[2]، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ بِأَخْبَارِهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، لِأَنَّكَ تَقُولُ: حَدَّثْتُهُ كَذَا وَحَدَّثْتُهُ بِكَذَا.

وَ﴿أَوْحَى لَهَا﴾[3] بِمَعْنَى أَوْحَى إِلَيْهَا، وَهُوَ مَجَازٌ كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4]]النَّحْلِ: 40].

قَالَ:

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَــرَّتِ

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا". وَسَعِيدُ بْنِ جُبَيْرٍ: تُنْبِئُ، بِالتَّخْفِيفِ. يَصْدُرُونَ عَنْ مَخَارِجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْمَوْقِفِ.

﴿أَشْتَاتًا﴾[5]: بِيضَ الْوُجُوهِ آمِنِينَ، وَسُودَ الْوُجُوهِ فَزِعِينَ. أَوْ يَصْدُرُونَ عَنِ الْمَوْقِفِ أَشْتَاتًا يَتَفَرَّقُ بِهِمْ طَرِيقَا الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لِيُرَوْا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ.

وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لِيَرَوْا" بِالْفَتْحِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: "يَرَهُ" بِالضَّمِّ. وَيُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَخَّرَ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾[6]، فَقِيلَ لَهُ: قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ، فَقَالَ:

خُذَا بَطْنَ هَرْشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّــــــــهُ كِلَا جَانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَرِيقُ

وَالذَّرَّةُ: النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ، وَقِيلَ: الذَّرُّ مَا يُرَى فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ مِنَ الْهَبَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: حَسَنَاتُ الْكَافِرِ مُحْبَطَةٌ بِالْكُفْرِ، وَسَيِّئَاتُ الْمُؤْمِنِ مَغْفُوَّةٌ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، فَمَا مَعْنَى الْجَزَاءِ بِمَثَاقِيلِ الذَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؟

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .

قُلْتُ: الْمَعْنَى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا: مِنْ فَرِيقِ السُّعَدَاءِ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا: مِنْ فَرِيقِ الْأَشْقِيَاءِ، لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾[1].

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِذَا [زُلْزِلَتْ] أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ".

[1] سورة ، الآية .

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

سورة العاديات

مَكِّيَّةٌ،
وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْعَصْرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[1]

أَقْسَمَ بِخَيْلِ الْغُزَاةِ تَعْدُو فَتُضْبِحُ. وَالضَّبْحُ: صَوْتُ أَنْفَاسِهَا إِذَا عَدَوْنَ.
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَكَاهُ فَقَالَ: أَحْ أَحْ.
قَالَ عَنْتَرَةُ:

وَالْخَيْلُ تَكْدَحُ حِينَ تَضْ بَحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ضَبْحَـــا

وَانْتِصَابُ ضَبْحًا عَلَى: يَضْبَحْنَ ضَبْحًا، أَوْ بِالْعَادِيَّاتِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَالضَّابِحَاتِ، لِأَنَّ الضَّبْحَ يَكُونُ مَعَ الْعَدْوِ. أَوْ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: ضَابِحَاتٍ "فَالْمُورِيَاتِ" تُورِي نَارَ الْحُبَاحِبِ، وَهِيَ مَا يَنْقَدِحُ مِنْ حَوَافِرِهَا.

---

[1] سورة ، الآية .

﴿قَدْحًا﴾[1] قَادِحَاتٍ صَاكَّاتٍ بِحَوَافِرِهَا الْحِجَارَةَ. وَالْقَدْحُ: الصَّكُّ.

وَالْإِيرَاءُ: إِخْرَاجُ النَّارِ. تَقُولُ: قَدَحَ فَأَوْرَى، وَقَدَحَ فَأَصْلَدَ، وَانْتَصَبَ قَدْحًا بِمَا انْتَصَبَ بِهِ ضَبْحًا.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾[2]: تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ "صُبْحًا" فِي وَقْتِ الصُّبْحِ.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾[3]: فَهَيَّجْنَ بِذَلِكَ الْوَقْتِ غُبَارًا، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾[4] بِذَلِكَ الْوَقْتِ، أَوْ بِالنَّقْعِ، أَيْ: وَسَّطْنَ النَّقْعَ الْجَمْعَ. أَوْ فَوَسَّطْنَ مُلْتَبِسَاتٍ بِهِ، ﴿جَمْعًا﴾[5]: مِنْ جُمُوعِ الْأَعْدَاءِ. وَوَسَّطَهُ بِمَعْنَى تَوَسَّطَهُ. وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِمَكَانِ الْغَارَةِ. وَقِيلَ: لِلْعَدُوِّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾[6].

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالنَّقْعِ: الصِّيَاحُ، مِنْ قَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعٌ وَلَا لَقْلَقَةٌ".

وَقَوْلِ لَبِيدٍ:

فَمَتَى يَنْقُعُ صُرَاخٌ صَادِقُ

أَيْ: فَهَيَّجْنَ فِي الْمُغَارِ عَلَيْهِمْ صِيَاحًا وَجَلَبَةً.

وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: "فَأَثَّرْنَ" بِالتَّشْدِيدِ، بِمَعْنَى: فَأَظْهَرْنَ بِهِ غُبَارًا، لِأَنَّ التَّأْثِيرَ فِيهِ مَعْنَى الْإِظْهَارِ. أَوْ قَلَبَ ثَوَّرْنَ إِلَى وَثَرْنَ، وَقَلَبَ الْوَاوَ هَمْزَةً.

وَقُرِئَ: "فَوَسَّطْنَ" بِالتَّشْدِيدِ لِلتَّعْدِيَةِ. وَالْبَاءُ مَزِيدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾[7]]الْبَقَرَةِ: 255]. وَهِيَ مُبَالَغَةٌ فِي وَسَّطْنَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُنْتُ جَالِسًا فِي الْحِجْرِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عَنْ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[8]، فَفَسَّرْتُهَا بِالْخَيْلِ، فَذَهَبَ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زَمْزَمَ، فَسَأَلَهُ وَذَكَرَ لَهُ مَا

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .

قُلْتُ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ قَالَ: تُفْتِي النَّاسَ بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَأَوَّلَ غَزْوَةٍ فِي الْإِسْلَامِ بَدْرٌ، وَمَا كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ: فَرَسُ الزُّبَيرِ وَفَرَسٌ لِلْمِقْدَادِ.

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[1]: الْإِبِلُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ، وَمِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، فَإِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ فَقَدِ اسْتُعِيرَ الضَّبْحُ لِلْإِبِلِ، كَمَا اسْتُعِيرَ الْمَشَافِرُ وَالْحَافِرُ لِلْإِنْسَانِ، وَالشَّفَتَانِ لِلْمُهْرِ، وَالثَّغْرُ لِلثَّوْرَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: الضَّبْحُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْفَرَسِ وَالْكَلْبِ وَالثَّعْلَبِ. وَقِيلَ: الضَّبْحُ بِمَعْنَى الضَّبْعِ، يُقَالُ: ضَبَحَتِ الْإِبِلُ وَضَبَعَتْ: إِذَا مَدَّتْ أَضْبَاعَهَا فِي السَّيْرِ، وَلَيْسَ بِثَبْتٍ. وَجَمْعٌ: هُوَ الْمُزْدَلِفَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عَطَفَ ﴿فَأَثَرْنَ﴾[2]؟

قُلْتُ: عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي وُضِعَ اسْمُ الْفَاعِلِ مَوْضِعَهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَاللَّاتِي عَدَوْنَ فَأَوْرَيْنَ، فَأَغَرْنَ فَأَثَرْنَ. الْكَنُودُ: الْكَفُورُ. وَكَنَدَ النِّعْمَةَ كُنُودًا. وَمِنْهُ سُمِّيَ: كِنْدَةُ؛ لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ فَفَارَقَهُ.

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: الْكَنُودُ بِلِسَانِ كِنْدَةَ: الْعَاصِي، وَبِلِسَانِ بَنِي مَالِكٍ: الْبَخِيلُ، وَبِلِسَانِ 2 مُضَرَ وَرَبِيعَةَ: الْكَفُورُ، يَعْنِي: أَنَّهُ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ خُصُوصًا لَشَدِيدُ الْكُفْرَانِ، لِأَنَّ تَفْرِيطَهُ فِي شُكْرِ نِعْمَةِ غَيْرِ اللَّهِ تَفْرِيطٌ قَرِيبٌ لِمُقَارَبَةِ النِّعْمَةِ، لِأَنَّ أَجَلَّ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ مِثْلِهِ نِعْمَةُ أَبَوَيْهِ، ثُمَّ إِنَّ عُظْمَاهَا فِي جَنْبِ أَدْنَى نِعْمَةِ اللَّهِ قَلِيلَةٌ ضَئِيلَةٌ.

﴿وَإِنَّهُ﴾[3]: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ "عَلَى ذَلِكَ" عَلَى كُنُودِهِ "لَشَهِيدٌ" يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْحَدَهُ لِظُهُورِ أَمْرِهِ. وَقِيلَ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُنُودِهِ لَشَاهِدٌ عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ.

"الْخَيْرِ" الْمَالُ مِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[4]]الْبَقَرَةِ: 180]. وَالشَّدِيدُ: الْبَخِيلُ الْمُمْسِكُ. يُقَالُ: فُلَانٌ شَدِيدٌ وَمُتَشَدِّدٌ.

قَالَ طَرَفَةُ:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

يَعْنِي: وَإِنَّهُ لِأَجْلِ حُبِّ الْمَالِ وَأَنَّ إِنْفَاقَهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ: لَبَخِيلٌ مُمْسِكٌ. أَوْ أَرَادَ بِالشَّدِيدِ: الْقَوِيَّ، وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْمَالِ وَإِيثَارِ الدُّنْيَا وَطَلَبِهَا قَوِيٌّ مُطِيقٌ، وَهُوَ لِحُبِّ عِبَادَةِ اللَّهِ وَشُكْرِ نِعْمَتِهِ ضَعِيفٌ مُتَقَاعِسٌ.

تَقُولُ: هُوَ شَدِيدٌ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَقَوِيٌّ لَهُ: إِذَا كَانَ مُطِيقًا لَهُ ضَابِطًا. أَوْ أَرَادَ: أَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرَاتِ غَيْرُ هَشٍّ مُنْبَسِطٍ، وَلَكِنَّهُ مُنْقَبِضٌ .

﴿بُعْثِرَ﴾[1]: بُعِثَ. وَقُرِئَ: "بُحْثِرَ" وَبُحِثَ، وَبُحْثِرَ. وَحُصِّلَ: عَلَى بِنَائِهِمَا لِلْفَاعِلِ. وَحُصِلَ: بِالتَّخْفِيفِ.

وَمَعْنَى ﴿حُصِّلَ﴾[2]: جُمِعَ فِي الصُّحُفِ، أَيْ: أُظْهِرَ مُحَصَّلًا مَجْمُوعًا.

وَقِيلَ: مُيِّزَ بَيْنَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمُنْخُلِ: الْمُحَصِّلُ.

وَمَعْنَى عِلْمِهِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مُجَازَاتُهُ لَهُمْ عَلَى مَقَادِيرِ أَعْمَالِهِمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ أُثِرَ خَبَرُهُ بِهِمْ. وَقَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ: "إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [وَالْعَادِيَاتِ] أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ بَاتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَشَهِدَ جَمْعًا".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

سورة القارعة

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا
نَزَلَتْ بَعْدَ [قُرَيْشٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[1]

الظَّرْفُ نُصِبَ بِمُضْمَرٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَارِعَةُ، أَيْ: تَقْرَعُ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[2] شَبَّهَهُمْ بِالْفَرَاشِ فِي الْكَثْرَةِ وَالِانْتِشَارِ وَالضَّعْفِ وَالذِّلَّةِ، وَالتَّطَايُرِ إِلَى الدَّاعِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، كَمَا يَتَطَايَرُ الْفَرَاشُ إِلَى النَّارِ.

قَالَ جَرِيرٌ:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ مَا عَلِمْتُ وَقَوْمَهُ مِثْلُ الْفَرَاشِ غَشِينَ نَارَ الْمُصْطَلِي

وَفِي أَمْثَالِهِمْ: أَضْعَفُ مِنْ فَرَاشَةٍ وَأَذَلُّ وَأَجْهَلُ. وَسُمِّيَ فَرَاشًا: لِتَفَرُّشِهِ وَانْتِشَارِهِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَشَبَّهَ الْجِبَالَ بِالْعِهْنِ، وَهُوَ الصُّوفُ الْمُصَبَّغُ أَلْوَانًا، لِأَنَّهَا أَلْوَانٌ، وَبِالْمَنْفُوشِ مِنْهُ، لِتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "كَالصُّوفِ".

الْمَوَازِينُ: جَمْعُ مَوْزُونٌ وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي لَهُ وَزْنٌ وَخَطَرٌ عِنْدَ اللَّهِ. أَوْ جَمْعُ مِيزَانٍ. وَثِقَلُهَا: رُجْحَانُهَا.

وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ لِعُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ: "وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَثِقَلِهَا فِي الدُّنْيَا، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا تُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَسَنَاتُ أَنْ يَثْقُلَ. وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ لِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخِفَّتِهَا فِي الدُّنْيَا، وَحُقَّ لِمِيزَانٍ لَا تُوضَعُ فِيهِ السَّيِّئَاتُ أَنْ يَخِفَّ".

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[1] مِنْ قَوْلِهِمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى الرَّجُلِ بِالْهَلَكَةِ: هَوَتْ أُمُّهُ، لِأَنَّهُ إِذَا هَوَى أَيْ: سَقَطَ وَهَلَكَ، فَقَدْ هَوَتْ أُمُّهُ ثُكْلًا وَحُزْنًا.

قَالَ:

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلُ حِينَ يَئُوبُ

فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَقَدْ هَلَكَ.

وَقِيلَ: "هَاوِيَةٌ" مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَكَأَنَّهَا النَّارُ الْعَمِيقَةُ لِهَوَى أَهْلِ النَّارِ فِيهَا مَهْوًى بَعِيدًا، كَمَا رُوِيَ: "يَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا" أَيْ: فَمَأْوَاهُ النَّارُ.

وَقِيلَ: لِلْمَأْوَى: أُمٌّ، عَلَى التَّشْبِيهِ، لِأَنَّ الْأُمَّ مَأْوَى الْوَلَدِ وَمَفْزَعُهُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ، أَيْ: فَأُمُّ رَأْسِهِ هَاوِيَةٌ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، لِأَنَّهُ يُطْرَحُ فِيهَا مَنْكُوسًا.

"هِيَهْ": ضَمِيرُ الدَّاهِيَةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[2] فِي التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ. أَوْ ضَمِيرُ هَاوِيَةٌ، وَالْهَاءُ لِلسَّكْتِ، وَإِذَا وَصَلَ الْقَارِئُ حَذَفَهَا. وَقِيلَ: حَقُّهُ أَنْ لَا يُدْرِجَ لِئَلَّا يُسْقِطَهَا الْإِدْرَاجُ، لِأَنَّهَا ثَابِتَةٌ فِي الْمُصْحَفِ. وَقَدِ أُجِيزَ إِثْبَاتُهَا مَعَ الْوَصْلِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْقَارِعَةِ] ثَقَّلَ اللَّهُ بِهَا مِيزَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

سورة ألهاكم التكاثر

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا 8 نَزَلَتْ بَعْدَ
[الْكَوْثَرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[1]

أَلْهَاهُ عَنْ كَذَا وَأَقْهَاهُ: إِذَا شَغَلَهُ. وَ "التَّكَاثُرُ" التَّبَارِي فِي الْكَثْرَةِ وَالتَّبَاهِي بِهَا، وَأَنْ يَقُولَ هَؤُلَاءِ: نَحْنُ أَكْثَرُ، وَهَؤُلَاءِ: نَحْنُ أَكْثَرُ.

رُوِيَ أَنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنِي سَهْمٍ تَفَاخَرُوا أَيُّهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا، فَكَثَّرَهُمْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَتْ بَنُو سَهْمٍ: إِنَّ الْبَغْيَ أَهْلَكَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَعَادُونَا بِالْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَكَثَرَتْهُمْ بَنُو سَهْمٍ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّكُمْ تَكَاثَرْتُمْ بِالْأَحْيَاءِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْعَبْتُمْ عَدَدَهُمْ صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ فَتَكَاثَرْتُمْ بِالْأَمْوَاتِ: عَبَّرَ عَنْ بُلُوغِهِمْ ذِكْرَ الْمَوْتَى بِزِيَارَةِ الْمَقَابِرِ تَهَكُّمًا بِهِمْ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَزُورُونَ الْمَقَابِرَ فَيَقُولُونَ: هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ، وَهَذَا قَبْرُ فُلَانٍ عِنْدَ تَفَاخُرِهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى: أَلْهَاكُمْ ذَلِكَ وَهُوَ مِمَّا لَا يَعْنِيكُمْ وَلَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ عَمَّا يُعِينُكُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ وَأَعْنَى مِنْ كُلِّ مُهِمٍّ. أَوْ أَرَادَ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ إِلَى أَنْ مُتُّمْ وَقُبِرْتُمْ. مُنْفِقِينَ أَعْمَارَكُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَالِاسْتِبَاقِ إِلَيْهَا وَالتَّهَالُكِ عَلَيْهَا، إِلَى أَنْ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ لَا هَمَّ لَكُمْ غَيْرُهَا، عَمَّا هُوَ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ السَّعْيِ لِعَاقِبَتِكُمْ وَالْعَمَلِ لِآخِرَتِكُمْ.

وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ: عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوْتِ.

قَالَ:

لَنْ يُخْلِصَ الْعَامَ خَلِيلٌ عِشْرَا ذَاقَ الضِّمَادَ أَوْ يَزُورَ الْقَبْرَا

وَقَالَ:

زَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ فَأَصْبَحَ أَلْأَمَ زُوَّارِهَا

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَأَلْهَاكُمْ"؟ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ.

﴿كَلَّا﴾[1]: رَدْعٌ وَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ لِنَفْسِهِ أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا جَمِيعَ هَمِّهِ وَلَا يَهْتَمَّ بِدِينِهِ.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2] إِنْذَارٌ لِيَخَافُوا فَيَتَنَبَّهُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ. وَالتَّكْرِيرُ: تَأْكِيدٌ لِلرَّدْعِ وَالْإِنْذَارِ عَلَيْهِمْ.

وَ﴿ثُمَّ﴾[3] دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَشَدُّ، كَمَا تَقُولُ لِلْمَنْصُوحِ: أَقُولُ لَكَ، ثُمَّ أَقُولُ لَكَ: لَا تَفْعَلْ، وَالْمَعْنَى: سَوْفَ تَعْلَمُونَ الْخَطَأَ فِيمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَايَنْتُمْ مَا قُدَّامَكُمْ مِنْ هَوْلِ لِقَاءِ اللَّهِ، وَإِنَّ هَذَا التَّنْبِيهَ نَصِيحَةٌ لَكُمْ وَرَحْمَةٌ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ كَرَّرَ التَّنْبِيهَ أَيْضًا.

وَقَالَ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾[4] مَحْذُوفُ الْجَوَابِ، يَعْنِي: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عِلْمَ الْأَمْرِ الْيَقِينِ، أَيْ: كَعِلْمِكُمْ مَا تَسْتَيْقِنُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي وُكِّلْتُمْ بِعَمَلِهَا هِمَمَكُمْ: لَفَعَلْتُمْ مَا لَا يُوصَفُ وَلَا يُكْتَنَهُ، وَلَكِنَّكُمْ ضُلَّالٌ جَهَلَةٌ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[1]، فَبَيَّنَ لَهُمْ مَا أَنْذَرَهُمْ مِنْهُ وَأَوْعَدَهُمْ بِهِ، وَقَدْ مَرَّ مَا فِي إِيضَاحِ الشَّيْءِ بَعْدَ إِبْهَامِهِ مِنْ تَفْخِيمِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَهُوَ جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ، وَالْقَسَمُ لِتَوْكِيدِ الْوَعِيدِ، وَأَنَّ مَا أُوعِدُوا بِهِ مَا لَا مَدْخَلَ فِيهِ لِلرَّيْبِ، وَكَرَّرَهُ مَعْطُوفًا بِثُمَّ تَغْلِيظًا فِي التَّهْدِيدِ وَزِيَادَةً فِي التَّهْوِيلِ.

وَقُرِئَ: "لَتَرَؤُنَّ" بِالْهَمْزِ وَهِيَ مُسْتَكْرَهَةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ اسْتُكْرِهَتْ وَالْوَاوُ الْمَضْمُومَةُ قَبْلَهَا هَمْزَةٌ قِيَاسٌ مُطَّرِدٌ؟

قُلْتُ: ذَاكَ فِي الْوَاوِ الَّتِي ضَمَّتُهَا لَازِمَةٌ، وَهَذِهِ عَارِضَةٌ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.

وَقُرِئَ: "لَتُرَوُنَّ" وَلَتُرَوُنَّهَا: عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[2]، أَيِ: الرُّؤْيَةَ الَّتِي هِيَ نَفْسُ الْيَقِينِ وَخَالِصَتُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالرُّؤْيَةِ: الْعِلْمُ وَالْإِبْصَارُ.

﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾[3]: عَنِ اللَّهْوِ وَالتَّنَعُّمِ الَّذِي شَغَلَكُمُ الِالْتِذَاذُ بِهِ عَنِ الدِّينِ وَتَكَالِيفِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا النَّعِيمُ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ وَيُعَاتَبُ عَلَيْهِ؟ فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ نَعِيمٌ؟

قُلْتُ: هُوَ نَعِيمُ مَنْ عَكَفَ هِمَّتَهُ عَلَى اسْتِيفَاءِ اللَّذَّاتِ، وَلَمْ يَعِشْ إِلَّا لِيَأْكُلَ الطَّيِّبَ وَيَلْبَسَ اللَّيِّنَ، وَيَقْطَعَ أَوْقَاتَهُ بِاللَّهْوِ وَالطَّرَبِ، لَا يَعْبَأُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يُحَمِّلُ نَفْسَهُ مَشَاقَّهُمَا.

فَأَمَّا مَنْ تَمَتَّعَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَأَرْزَاقِهِ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْهَا إِلَّا لِعِبَادِهِ، وَتَقَوَّى بِهَا عَلَى دِرَاسَةِ الْعِلْمِ وَالْقِيَامِ بِالْعَمَلِ، وَكَانَ نَاهِضًا بِالشُّكْرِ: فَهُوَ مِنْ ذَاكَ بِمَعْزِلٍ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا يُرْوَى: أَنَّهُ أَكَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ تَمْرًا وَشَرِبُوا عَلَيْهِ مَاءً، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمْنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ بِالنَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

سُورَةُ الْعَصْرِ

سُورَةُ الْعَصْرِ

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الشَّرْحِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]

أَقْسَمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ لِفَضْلِهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾: صَلَاةُ الْعَصْرِ، فِي مُصْحَفِ حَفْصَةَ. وَقَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ"؛ وَلِأَنَّ التَّكْلِيفَ فِي أَدَائِهَا أَشَقُّ لِتَهَافُتِ النَّاسِ فِي تِجَارَاتِهِمْ وَمَكَاسِبِهِمْ آخِرَ النَّهَارِ، وَاشْتِغَالِهِمْ بِمَعَايِشِهِمْ. أَوْ أَقْسَمَ بِالْعَشِيِّ كَمَا أَقْسَمَ بِالضُّحَى لِمَا فِيهِمَا جَمِيعًا مِنْ دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ. أَوْ أَقْسَمَ بِالزَّمَانِ لِمَا فِي مُرُورِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَجَائِبِ.

وَالْإِنْسَانُ: لِلْجِنْسِ.

وَالْخُسْرُ: الْخُسْرَانُ، كَمَا قِيلَ: الْكُفْرُ فِي الْكُفْرَانِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ النَّاسَ فِي خُسْرَانٍ مِنْ تِجَارَتِهِمْ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَحْدَهُمْ، لِأَنَّهُمُ اشْتَرَوُا الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا، فَرَبِحُوا وَسَعِدُوا، وَمِنْ عَدَاهُمْ تَجِرُوا خِلَافَ تِجَارَتِهِمْ، فَوَقَعُوا فِي الْخَسَارَةِ وَالشَّقَاوَةِ.

---

[1] سورة ، الآية .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾[1]: بِالْأَمْرِ الثَّابِتِ الَّذِي لَا يَسُوغُ إِنْكَارُهُ، وَهُوَ الْخَيْرُ كُلُّهُ: مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2] عَنِ الْمَعَاصِي وَعَلَى الطَّاعَاتِ، عَلَى مَا يَبْلُو اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [وَالْعَصْرِ] غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَكَانَ مِمَّنْ تَوَاصَى بِالْحَقِّ وَتَوَاصَى بِالصَّبْرِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْقِيَامَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[1]

الْهَمْزُ: الْكَسْرُ، كَالْهَزْمِ. وَاللَّمْزُ: الطَّعْنُ. يُقَالُ: لَمَزَهُ وَلَهَزَهُ طَعَنَهُ، وَالْمُرَادُ: الْكَسْرُ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالْغَضُّ مِنْهُمْ، وَاغْتِيَابُهُمْ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ، وَبِنَاءُ "فُعَلَةَ" يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ عَادَةً مِنْهُ قَدْ ضَرِيَ بِهَا. وَنَحْوَهُمَا: اللُّعَنَةُ وَالضُّحَكَةُ.

قَالَ:

وَإِنْ أُغَيَّبْ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللُّمَزَهْ

وَقُرِئَ: وَيْلٌ لِلْهُمَزَةِ اللُّمَزَةِ".

وَقُرِئَ: "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُمْزَةٍ" بِسُكُونِ الْمِيمِ: وَهُوَ الْمَسْخَرَةُ الَّذِي يَأْتِي بِالْأَوَابِدِ وَالْأَضَاحِيكِ فَيُضْحَكُ مِنْهُ، وَيَشْتُمُ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ وَكَانَتْ عَادَتُهُ الْغِيبَةَ وَالْوَقِيعَةَ.

---

[1] سورة ، الآية .

وَقِيلَ: فِي أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ. وَقِيلَ: فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَاغْتِيَابِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَغَضِّهِ مِنْهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ خَاصًّا وَالْوَعِيدُ عَامًّا، لِيَتَنَاوَلَ كُلَّ مَنْ بَاشَرَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ، وَلِيَكُونَ جَارِيًا مَجْرَى التَّعْرِيضِ بِالْوَارِدِ فِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَزْجَرُ لَهُ وَأَنْكَى فِيهِ "الَّذِي" بَدَلٌ مِنْ كُلٍّ. أَوْ نُصِبَ عَلَى الذَّمِّ.

وَقُرِئَ: "جَمَّعَ" بِالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِعَدَّدَهُ.

وَقِيلَ: "عَدَّدَهُ" جَعَلَهُ عِدَّةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ.

وَقُرِئَ: "وَعَدَدَهُ" أَيْ: جَمَعَ الْمَالَ وَضَبَطَ عَدَدَهُ وَأَحْصَاهُ. أَوْ جَمَعَ مَالَهُ وَقَوْمَهُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُ، مِنْ قَوْلِكَ: فُلَانٌ ذُو عَدَدٍ وَعُدَدٍ: إِذَا كَانَ لَهُ عَدَدٌ وَافِرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَا يُصْلِحُهُمْ.

وَقِيلَ: "وَعَدَدَهُ" مَعْنَاهُ: وَعَدَّهُ عَلَى فَكِّ الْإِدْغَامِ، نَحْوَ: ضَنِنُوا .

﴿أَخْلَدَهُ﴾[1] وَخَلَّدَهُ بِمَعْنًى؛ أَيْ: طَوَّلَ الْمَالُ أَمَلَهُ، وَمَنَّاهُ الْأَمَانِيَّ الْبَعِيدَةَ، حَتَّى أَصْبَحَ لِفَرْطِ غَفْلَتِهِ وَطُولِ أَمَلِهِ يَحْسَبُ أَنَّ الْمَالَ تَرَكَهُ خَالِدًا فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُ. أَوْ يَعْمَلُ مِنْ تَشْيِيدِ الْبُنْيَانِ الْمُوثَقِ بِالصَّخْرِ وَالْآجُرِّ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ: عَمَلَ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ مَالَهُ أَبْقَاهُ حَيًّا. أَوْ هُوَ تَعْرِيضٌ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَخْلَدَ صَاحِبَهُ فِي النَّعِيمِ، فَأَمَّا الْمَالُ فَمَا أَخْلَدَ أَحَدًا فِيهِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لِلْأَخْنَسِ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ. وَقِيلَ: عَشَرَةُ آلَافٍ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّهُ عَادَ مُوسِرًا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي أُلُوفٍ لَمْ أَفْتَدِ بِهَا مِنْ لَئِيمٍ وَلَا تَفَضَّلْتُ عَلَى كَرِيمٍ؟ قَالَ: وَلَكِنْ لِمَاذَا؟ قَالَ: لِنَبْوَةِ الزَّمَانِ، وَجَفْوَةِ السُّلْطَانِ، وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ. وَمَخَافَةِ الْفَقْرِ. قَالَ: إِذَنْ تَدَعُهُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُكَ، وَتَرِدُ عَلَى مَنْ لَا يَعْذُرُكَ.

﴿كَلَّا﴾[2]: رَدْعٌ لَهُ عَنْ حُسْبَانِهِ.

وَقُرِئَ: "لَيُنْبَذَانِ"، أَيْ: هُوَ وَمَالُهُ.

وَلَيُنْبَذُنَّ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ: هُوَ وَأَنْصَارُهُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَلَيَنْبُذَنَّهُ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾[1]: فِي النَّارِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْطِمَ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيهَا. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: إِنَّهُ لَحُطَمَةٌ.

وَقُرِئَ: "الْحَاطِمَةِ"، يَعْنِي أَنَّهَا تَدْخُلُ فِي أَجْوَافِهِمْ حَتَّى تَصِلَ إِلَى صُدُورِهِمْ وَتَطَّلِعَ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ، وَهِيَ أَوْسَاطُ الْقُلُوبِ، وَلَا شَيْءَ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ أَلْطَفُ مِنَ الْفُؤَادِ، وَلَا أَشَدُّ تَأَلُّمًا مِنْهُ بِأَدْنَى أَذًى يَمَسُّهُ، فَكَيْفَ إِذَا اطَّلَعَتْ عَلَيْهِ نَارُ جَهَنَّمَ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؟!

وَيَجُوزُ أَنْ يَخُصَّ الْأَفْئِدَةَ، لِأَنَّهَا مَوَاطِنُ الْكُفْرِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالنِّيَّاتِ الْخَبِيثَةِ.

وَمَعْنَى اطِّلَاعِ النَّارِ عَلَيْهَا: أَنَّهَا تَعْلُوهَا وَتَغْلِبُهَا وَتَشْتَمِلُ عَلَيْهَا. أَوْ تُطَالِعُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ مَعَادِنَ مُوجِبِهَا.

﴿مُؤْصَدَةٌ﴾[2]: مُطْبَقَةٌ.

قَالَ:

تَحِنُّ إِلَى أَجْبَالِ مَكَّةَ نَاقَتِـــي وَمِنْ دُونِهَا أَبْوَابُ صَنْعَاءَ مُوصَدَهْ

وَقُرِئَ: "فِي عُمُدٍ" بِضَمَّتَيْنِ. وَعُمْدٍ، بِسُكُونِ الْمِيمِ. وَعَمَدٍ بِفَتْحَتَيْنِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يُؤَكِّدُ يَأْسَهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ وَتَيَقُّنَهُمْ بِحَبْسِ الْأَبَدِ، فَتُؤْصَدُ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابُ وَتُمَدَّدُ عَلَى الْأَبْوَابِ الْعَمَدُ، اسْتِيثَاقًا فِي اسْتِيثَاقٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، مُوثَقِينَ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ مِثْلَ الْمَقَاطِرِ الَّتِي تُقْطَرُ فِيهَا اللُّصُوصُ. اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ يَا خَيْرَ مُسْتَجَارٍ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْهُمَزَةِ] أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

سُورَةُ الْفِيلِ

سُورَةُ الْفِيلِ

مَكِّيَّةٌ،
آيَاتُهَا خَمْسٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْكَافِرُونَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[1]

رُوِيَ أَنْ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ الْأَشْرَمَ مَلِكَ الْيَمَنِ مِنْ قَبْلِ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ بَنَى كَنِيسَةً بِصَنْعَاءَ وَسَمَّاهَا الْقُلَّيْسَ، وَأَرَادَ أَنْ يَصْرِفَ إِلَيْهَا الْحَاجَّ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ فَقَعَدَ فِيهَا لَيْلًا، فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: أَجَّجَتْ رُفْقَةٌ مِنَ الْعَرَبِ نَارًا فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ فَأَحْرَقَتْهَا، فَحَلَفَ لَيَهْدِمَنَّ الْكَعْبَةَ، فَخَرَجَ بِالْحَبَشَةِ وَمَعَهُ فِيلٌ لَهُ اسْمُهُ مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَوِيًّا عَظِيمًا، وَاثْنَا عَشَرَ فِيلًا غَيْرُهُ. وَقِيلَ: ثَمَانِيَةٌ.

وَقِيلَ: كَانَ مَعَهُ أَلْفُ فِيلٍ، وَكَانَ وَحْدَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُغَمَّسَ خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ ثُلُثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ لِيَرْجِعَ، فَأَبَى وَعَبَّأَ جَيْشَهُ وَقَدَّمَ الْفِيلَ، فَكَانُوا كُلَّمَا وَجَّهُوهُ إِلَى الْحَرَمِ بَرَكَ وَلَمْ يَبْرَحْ. وَإِذَا وَجَّهُوهُ إِلَى الْيَمَنِ أَوْ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْجِهَاتِ هَرْوَلَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ طَيْرًا سُودًا.

---

[1] سورة ، الآية .

وَقِيلَ: خُضْرًا. وَقِيلَ: بِيضًا، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ أَكْبَرُ مِنَ الْعَدَسَةِ وَأَصْغَرُ مِنَ الْحِمَّصَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ رَأَى مِنْهَا عِنْدَ أُمِّ هَانِئٍ قَفِيزًا مُخَطَّطَةً بِحُمْرَةٍ كَالْجَزَعِ الظَّفَارِيِّ، فَكَانَ الْحَجَرُ يَقَعُ عَلَى رَأْسِ الرَّجُلِ فَيَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ، وَعَلَى كُلِّ حَجَرٍ اسْمُ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ، فَفَرُّوا فَهَلَكُوا فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَمَنْهَلٍ، وَدَوَّى أَبْرَهَةُ فَتَسَاقَطَتْ أَنَامِلُهُ وَآرَابُهُ، وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ. وَانْفَلَتَ وَزِيرُهُ أَبُو يَكْسُومَ وَطَائِرُهُ يُحَلِّقُ فَوْقَهُ، حَتَّى بَلَغَ النَّجَاشِيَّ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَلَمَّا أَتَمَّهَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ فَخَرَّ مَيِّتًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَقِيلَ: كَانَ أَبْرَهَةُ جَدَّ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ. وَفِيهِ أَنَّ أَبْرَهَةَ أَخَذَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِائَتَيْ بَعِيرٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِيهَا، فَجَهَرَهُ وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا.

وَقِيلَ: هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَصَاحِبُ عِيرِ مَكَّةَ الَّذِي يُطْعِمُ النَّاسَ فِي السَّهْلِ وَالْوُحُوشَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَلَمَّا ذَكَرَ حَاجَتَهُ قَالَ: سَقَطْتَ مِنْ عَيْنِي، جِئْتُ لِأَهْدِمَ الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ وَعِصْمَتُكُمْ وَشَرَفُكُمْ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، فَأَلْهَاكَ عَنْهُ ذَوْدٌ أُخِذَ لَكَ، فَقَالَ أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَلِلْبَيْتِ رَبٌّ سَيَمْنَعُهُ، ثُمَّ رَجَعَ وَأَتَى بَابَ الْبَيْتِ فَأَخَذَ بِحَلْقَتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَاهُمَّ إِنَّ الْمَرْءَ يَــمْـــــ نَعُ أَهْلَهُ فَامْنَعْ حَلَالَــكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُــــمْ وَمِحَالُهُمْ عَدْوًا مِحَالَــكْ
إِنْ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَكَــعْ بَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَـــــكْ

وَمِنَ الرَّجَزِ :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا يَا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا

فَالْتَفَتَ وَهُوَ يَدْعُو فَإِذَا هُوَ بِطَيْرٍ مِنْ نَحْوِ الْيَمَنِ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَطَيْرٌ غَرِيبَةٌ مَا هِيَ بِبَحْرِيَّةٍ وَلَا تِهَامِيَّةٍ.

فِيهِ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدِ احْتَوَوْا عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَجَمَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ جَوَاهِرِهِمْ وَذَهَبِهِمُ الْجَوْرَ، وَكَانَ سَبَبَ يَسَارِهِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الطَّيْرِ، فَقَالَ: حَمَّامُ مَكَّةَ مِنْهَا. وَقِيلَ: جَاءَتْ عَشِيَّةً ثُمَّ صَبَّحَتْهُمْ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: مَنْ أَصَابَتْهُ جَدَرَتْهُ وَهُوَ أَوَّلُ جُدَرِيٍّ ظَهَرَ.

وَقُرِئَ: أَلَمْ تَرْ بِسُكُونِ الرَّاءِ لِلْجِدِّ فِي إِظْهَارِ أَثَرِ الْجَازِمِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّكَ رَأَيْتَ آثَارَ فِعْلِ اللَّهِ بِالْحَبَشَةِ، وَسَمِعْتَ الْأَخْبَارَ بِهِ مُتَوَاتِرَةً، فَقَامَتْ لَكَ مَقَامَ الْمُشَاهَدَةِ.

وَ﴿كَيْفَ﴾[1] فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾[2]، لَا بِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[3]، لِمَا فِي ﴿كَيْفَ﴾[4] مِنْ مَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾[5] فِي تَضْيِيعٍ وَإِبْطَالٍ.

يُقَالُ: ضَلَّلَ كَيْدَهُ، إِذَا جَعَلَهُ ضَالًّا ضَائِعًا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾[6]]غَافِرٍ: 25].

وَقِيلَ :لِامْرِئِ الْقَيْسِ الْمَلِكُ الضِّلِّيلُ، لِأَنَّهُ ضَلَّلَ مُلْكَ أَبِيهِ، أَيْ: ضَيَّعَهُ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ كَادُوا الْبَيْتَ أَوَّلًا بِبِنَاءِ الْقُلَّيْسِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَنْسَخُوا أَمْرَهُ بِصَرْفِ وُجُوهِ الْحَاجِّ إِلَيْهِ فَضَلَّلَ كَيْدَهُمْ بِإِيقَاعِ الْحَرِيقِ فِيهِ، وَكَادُوهُ ثَانِيًا بِإِرَادَةِ هَدْمِهِ، فَضَلَّلَ بِإِرْسَالِ الطَّيْرِ عَلَيْهِمْ ﴿أَبَابِيلَ﴾[7]: حَزَائِقَ، الْوَاحِدَةُ: إِبَّالَةٌ. وَفِي أَمْثَالِهِمْ: ضِغْثٌ عَلَى إِبَّالَةٍ، وَهِيَ: الْحُزْمَةُ الْكَبِيرَةُ، شُبِّهَتِ الْحِزْقَةُ مِنَ الطَّيْرِ فِي تَضَامِّهَا بِالْإِبَّالَةِ. وَقِيلَ: أَبَابِيلُ مِثْلَ عَبَادِيدَ، وَشَمَاطِيطَ لَا وَاحِدَ لَهَا.

وَقَرَأَ أَبُو حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: يَرْمِيهِمْ أَيِ: اللَّهُ تَعَالَى أَوِ الطَّيْرُ، لِأَنَّهُ اسْمُ جَمْعٍ مُذَكَّرٍ، وَإِنَّمَا يُؤَنَّثُ عَلَى الْمَعْنَى. وَسِجِّيلٌ: كَأَنَّهُ عَلَمٌ لِدِيوَانِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ الْكُفَّارِ، كَمَا أَنَّ سِجِّينًا عَلَمٌ لِدِيوَانِ أَعْمَالِهِمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِحِجَارَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْعَذَابِ الْمَكْتُوبِ

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .

الْمُدَوَّنِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْإِسْجَالِ وَهُوَ الْإِرْسَالُ، لِأَنَّ الْعَذَابَ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾[1]الْأَعْرَافِ: 133].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: مِنْ طِينٍ مَطْبُوخٍ كَمَا يُطْبَخُ الْآجُرُّ.

وَقِيلَ: هُوَ مُعَرَّبٌ مِنْ سَنَكْكَلَ. وَقِيلَ: مِنْ شَدِيدِ عَذَابِهِ، وَرَوَوْا بَيْتَ ابْنِ مَعْقِلٍ:

ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّيلَا

وَإِنَّمَا هُوَ سِجِّينًا، وَالْقَصِيدَةُ نُونِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ فِي دِيوَانِهِ، وَشُبِّهُوا بِوَرَقِ الزَّرْعِ إِذَا أُكِلَ، أَيْ: وَقَعَ فِيهِ الْأَكَّالُ: وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَهُ الدُّودُ. أَوْ بِتِبْنٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ وَرَاثَتْهُ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ عَلَى مَا عَلَيْهِ آدَابُ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾[2]]الْمَائِدَةِ: 75]. أَوْ أُرِيدَ: أُكِلَ حَبُّهُ فَبَقِيَ صِفْرًا مِنْهُ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْفِيلِ] أَعْفَاهُ اللَّهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ مِنَ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

سورة قريشٍ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتِهَا أَرْبَعٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [التِّينِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[1]

﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾[2] مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: "فَلْيَعْبُدُوا" أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لِأَجْلِ إِيلَافِهِمُ الرِّحْلَتَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ دَخَلَتِ الْفَاءُ؟ قُلْتُ: لِمَا فِي الْكَلَامِ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: إِمَّا لَا فَلْيَعْبُدُوهُ لِإِيلَافِهِمْ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تُحْصَى، فَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ لِسَائِرِ نِعَمِهِ، فَلْيَعْبُدُوهُ لِهَذِهِ الْوَاحِدَةِ الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: عَجِبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. وَقِيلَ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، أَيْ: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ التَّضْمِينِ فِي الشِّعْرِ: وَهُوَ أَنْ يَتَعَلَّقَ مَعْنَى الْبَيْتِ بِالَّذِي قَبْلَهُ تَعَلُّقًا لَا يَصِحُّ إِلَّا بِهِ، وَهُمَا فِي مُصْحَفِ أُبَيٍّ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ، بِلَا فَصْلٍ.

وَعَنْ عُمَرَ: أَنَّهُ قَرَأَهُمَا فِي الثَّانِيَةِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ. وَقَرَأَ فِي الْأُولَى: [وَالتِّينِ].

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَهْلَكَ الْحَبَشَةَ الَّذِينَ قَصَدُوهُمْ لِيَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَيَتَهَيَّبُوهُمْ زِيَادَةَ تَهَيُّبٍ، وَيَحْتَرِمُوهُمْ فَضْلَ احْتِرَامٍ، حَتَّى يَنْتَظِمَ لَهُمُ الْأَمْنُ فِي رِحْلَتِهِمْ، فَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ رِحْلَتَانِ، يَرْحَلُونَ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ ، فَيَمْتَارُونَ وَيَتَّجِرُونَ، وَكَانُوا فِي رِحْلَتَيْهِمْ آمِنِينَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَوُلَاةُ بَيْتِهِ، فَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُمْ، وَالنَّاسُ غَيْرُهُمْ يُتَخَطَّفُونَ وَيُغَارُ عَلَيْهِمْ، وَالْإِيلَافُ مِنْ قَوْلِكَ: آلَفْتُ الْمَكَانَ أُولِفُهُ إِيلَافًا: إِذَا أَلِفْتُهُ، فَأَنَا مَأْلَفٌ.

قَالَ:

.....مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّهْوِ غَيْرِ الْأَوَارِكِ

وَقُرِئَ: "لِئَلَافِ قُرَيْشٍ"، أَيْ: لِمُؤَالَفَةِ قُرَيْشٍ.

وَقِيلَ: يُقَالُ: أَلِفْتُهُ إِلْفًا وَإِلَافًا.

وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: "لِإِلْفِ قُرَيْشٍ"، وَقَدْ جَمَعَهُمَا مَنْ قَالَ:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافُ

وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: "لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ".

وَقُرَيْشٌ: وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ سُمُّوا بِتَصْغِيرِ الْقِرْشِ: وَهُوَ دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْبَحْرِ تَعْبَثُ بِالسُّفُنِ، وَلَا تُطَاقُ إِلَّا بِالنَّارِ.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: بِمَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالَ: بِدَابَّةٍ فِي الْبَحْرِ تَأْكُلُ وَلَا تُؤْكَلُ، وَتَعْلُو وَلَا تُعْلَى.

وَأَنْشَدَ:

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْـــــ رَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا

وَالتَّصْغِيرُ لِلتَّعْظِيمِ.

وَقِيلَ: مِنَ الْقِرْشِ وَهُوَ الْكَسْبُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَسَّابِينَ بِتِجَارَاتِهِمْ وَضَرْبِهِمْ فِي الْبِلَادِ.

أَطْلَقَ الْإِيلَافَ ثُمَّ أَبْدَلَ عَنْهُ الْمُقَيَّدَ بِالرِّحْلَتَيْنِ، تَفْخِيمًا لِأَمْرِ الْإِيلَافِ، وَتَذْكِيرًا بِعِظَمِ النِّعْمَةِ فِيهِ، وَنَصَبَ الرِّحْلَةَ بِإِيلَافِهِمْ مَفْعُولًا بِهِ، كَمَا نَصَبَ "يَتِيمًا" بِـ "إِطْعَامٌ"، وَأَرَادَ رِحْلَتَيِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَأَفْرَدَ لِأَمْنِ الْإِلْبَاسِ، كَقَوْلِهِ:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ .....

وَقُرِئَ: "رِحْلَةُ" بِالضَّمِّ: وَهِيَ الْجِهَةُ الَّتِي يُرْحَلُ إِلَيْهَا: وَالتَّنْكِيرُ فِي "جُوعٍ" وَ"خَوْفٍ" لِشِدَّتِهِمَا، يَعْنِي: أَطْعَمَهُمْ بِالرِّحْلَتَيْنِ مِنْ جُوعٍ شَدِيدٍ كَانُوا فِيهِ قَبْلَهُمَا، وَآمَنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ عَظِيمٍ وَهُوَ خَوْفُ أَصْحَابِ الْفِيلِ، أَوْ خَوْفُ التَّخَطُّفِ فِي بَلَدِهِمْ وَمَسَايِرِهِمْ.

وَقِيلَ: كَانُوا قَدْ أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيَفَ وَالْعِظَامَ الْمُحْرَقَةَ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفِ الْجُذَامِ فَلَا يُصِيبُهُمْ بِبَلَدِهِمْ.

وَقِيلَ: ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ بِدَعِ التَّفَاسِيرِ: وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، مِنْ أَنْ تَكُونَ الْخِلَافَةُ فِي غَيْرِهِمْ.

وَقُرِئَ: مِنْ خَوْفٍ بِإِخْفَاءِ النُّونِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ] أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ مَنْ طَافَ بِالْكَعْبَةِ وَاعْتَكَفَ بِهَا".

سُورَةُ الْمَاعُونِ

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مَكِّيَّةٌ، ثَلَاثُ آيَاتٍ الْأُوَلُ،
مَدَنِيَّةٌ: الْبَقِيَّةُ،
وَآيَاتُهَا سَبْعٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [التَّكَاثُرِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1]

قُرِئَ: "أَرَيْتَ"، بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ، وَلَيْسَ بِالِاخْتِيَارِ، لِأَنَّ حَذْفَهَا مُخْتَصٌّ بِالْمُضَارِعِ، وَلَمْ يَصِحَّ عَنِ الْعَرَبِ: رَيْتَ، وَلَكِنَّ الَّذِي سَهَّلَ مِنْ أَمْرِهَا وُقُوعُ حَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ. وَنَحْوَهُ:

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَرَأَيْتَكَ" بِزِيَادَةِ حَرْفِ الْخِطَابِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[2]]الْإِسْرَاءِ: 62 .[

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى: هَلْ عَرَفْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ مَنْ هُوَ؟ إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي﴾[1] يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ، هُوَ الَّذِي ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[2]، أَيْ: يَدْفَعُهُ دَفْعًا عَنِيفًا بِجَفْوَةٍ وَأَذًى، وَبِرَدِّهِ رَدًّا قَبِيحًا بِزَجْرٍ وَخُشُونَةٍ. وَقُرِئَ: يَدَعُ، أَيْ: يَتْرُكُ وَيَجْفُو.

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾[3]: وَلَا يَبْعَثُ أَهْلَهُ عَلَى بَذْلِ طَعَامِ الْمِسْكِينِ، جَعَلَ عَلَمَ التَّكْذِيبِ بِالْجَزَاءِ مَنْعَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِقْدَامَ عَلَى إِيذَاءِ الضَّعِيفِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالْجَزَاءِ وَأَيْقَنَ بِالْوَعِيدِ، لَخَشِيَ اللَّهَ -تَعَالَى- وَعِقَابَهُ، وَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَحِينَ أَقْدَمَ عَلَيْهِ: عَلَى أَنَّهُ مُكَذِّبٌ، فَمَا أَشَدَّهُ مِنْ كَلَامٍ، وَأَمَّا أَخْوَفَهُ مِنْ مَقَامٍ.

وَمَا أَبْلَغَهُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَرَخَاوَةِ عَقْدِ الْيَقِينِ، ثُمَّ وَصَلَ بِهِ قَوْلَهُ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[4] كَأَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ يَسْهُونَ عَنِ الصَّلَاةِ قِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِهَا، حَتَّى تَفُوتَهُمْ أَوْ يَخْرُجَ وَقْتُهَا، أَوْ لَا يُصَلُّونَهَا كَمَا صَلَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالسَّلَفُ، وَلَكِنْ يَنْقُرُونَهَا نَقْرًا مِنْ غَيْرِ خُشُوعٍ وَإِخْبَاتٍ وَلَا اجْتِنَابٍ لِمَا يُكْرَهُ فِيهَا: مِنَ الْعَبَثِ بِاللِّحْيَةِ وَالثِّيَابِ، وَكَثْرَةِ التَّثَاؤُبِ وَالِالْتِفَاتِ، لَا يَدْرِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ كَمِ انْصَرَفَ، وَلَا مَا قَرَأَ مِنَ السُّوَرِ، كَمَا تَرَى صَلَاةَ أَكْثَرِ مَنْ تَرَى الَّذِينَ عَادَتْهُمُ الرِّيَاءُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَمَنْعُ حُقُوقِ أَمْوَالِهِمْ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونَ سَهْوُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ -الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ، وَالْفَارِقُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالرِّيَاءِ الَّذِي هُوَ شُعْبَةٌ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَنْعُ الزَّكَاةِ الَّتِي هِيَ شَقِيقَةُ الصَّلَاةِ وَقَنْطَرَةُ الْإِسْلَامِ- عِلْمًا عَلَى أَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ.

وَكَمْ تَرَى مِنَ الْمُتَسَمِّينَ بِالْإِسْلَامِ، بَلْ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، فَيَا مُصِيبَتَاهْ.

وَطَرِيقَةٌ أُخْرَى: أَنْ يَكُونَ "فَذَلِكَ" عَطْفًا "الَّذِي يُكَذِّبُ" إِمَّا عَطْفَ ذَاتٍ عَلَى ذَاتٍ، وَصِفَةٍ عَلَى صِفَةٍ؛ وَيَكُونُ جَوَابُ "أَرَأَيْتَ" مَحْذُوفًا لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَخْبِرْنِي، وَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ؟ وَفِيمَنْ يُؤْذِي الْيَتِيمَ وَلَا يُطْعِمُ الْمِسْكِينَ؟ أَنِعْمَ مَا يَصْنَعُ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[1]، أَيْ: إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ مُسِيءٌ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، عَلَى مَعْنَى: فَوَيْلٌ لَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ صِفَتَهُمْ مَوْضِعَ ضَمِيرِهِمْ، لِأَنَّهُمْ مَعَ التَّكْذِيبِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِمْ سَاهُونَ عَنِ الصَّلَاةِ مُرَائِينَ، غَيْرُ مُزَكِّينَ أَمْوَالَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جُعِلَتِ "الْمُصَلِّينَ" قَائِمًا مُقَامَ ضَمِيرِ الَّذِي يُكَذِّبُ، وَهُوَ وَاحِدٌ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ الْجَمْعُ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْجِنْسُ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿عَنْ صَلاتِهِمْ﴾[2] وَبَيْنَ قَوْلِكَ: "فِي صَلَاتِهِمْ"؟

قُلْتُ: مَعْنَى: "عَنْ": أَنَّهُمْ سَاهُونَ عَنْهَا سَهْوَ تَرْكٍ لَهَا وَقِلَّةِ الْتِفَاتٍ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ فِعْلُ الْمُنَافِقِينَ أَوِ الْفَسَقَةِ الشُّطَّارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَمَعْنَى "فِي": أَنَّ السَّهْوَ يَعْتَرِيهِمْ فِيهَا بِوَسْوَسَةِ شَيْطَانٍ أَوْ حَدِيثِ نَفْسٍ، وَذَلِكَ لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقَعُ لَهُ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ، وَمِنْ ثَمَّ أَثْبَتَ الْفُقَهَاءُ بَابَ سُجُودِ السَّهْوِ فِي كُتُبِهِمْ.

وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ لَمْ يَقُلْ فِي صَلَاتِهِمْ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَاهُونَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْمُرَآةُ؟

قُلْتُ: هِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْإِرَاءَةِ، لِأَنَّ الْمُرَائِيَ يُرِي النَّاسَ عَمَلَهُ، وَهُمْ يُرُونَهُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالْإِعْجَابَ بِهِ، وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُرَائِيًا بِإِظْهَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِنْ كَانَ فَرِيضَةً، فَمِنْ حَقِّ الْفَرَائِضِ الْإِعْلَانُ بِهَا وَتَشْهِيرُهَا، لِقَوْلِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "وَلَا غُمَّةَ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ، لِأَنَّهَا أَعْلَامُ الْإِسْلَامِ وَشَعَائِرُ الدِّينِ، وَلِأَنَّ تَارِكَهَا يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ وَالْمَقْتَ، فَوَجَبَ إِمَاطَةُ التُّهْمَةِ بِالْإِظْهَارِ، وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعًا، فَحَقُّهُ أَنْ يُخْفَى؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يُلَامُ بِتَرْكِهِ وَلَا تُهْمَةَ فِيهِ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ قَاصِدًا لِلِاقْتِدَاءِ بِهِ كَانَ جَمِيلًا. وَإِنَّمَا الرِّيَاءُ أَنْ يَقْصِدَ بِالْإِظْهَارِ أَنْ تَرَاهُ الْأَعْيُنُ، فَيُثْنَى عَلَيْهِ بِالصَّلَاحِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي الْمَسْجِدِ قَدْ سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ وَأَطَالَهَا، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا لَوْ كَانَ فِي بَيْتِكَ. وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا، لِأَنَّهُ تَوَسَّمَ فِيهِ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ، عَلَى أَنَّ اجْتِنَابَ الرِّيَاءِ صَعْبٌ إِلَّا عَلَى الْمُرْتَاضِينَ بِالْإِخْلَاصِ.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "الرِّيَاءُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ عَلَى الْمَسْحِ الْأَسْوَدِ".

"الْمَاعُونُ": الزَّكَاةُ.

قَالَ الرَّاعِي:

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: مَا يُتَعَاوَرُ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْفَأْسِ وَالْقِدْرِ وَالدَّلْوِ وَالْمِقْدَحَةِ وَنَحْوِهَا.

وَعَنْ عَائِشَةَ: الْمَاءُ وَالنَّارُ وَالْمِلْحُ، وَقَدْ يَكُونُ مَنْعُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَحْظُورًا فِي الشَّرِيعَةِ إِذَا اسْتُعِيرَتْ عَنِ اضْطِرَارٍ، وَقَبِيحًا فِي الْمُرُوءَةِ فِي غَيْرِ حَالِ الضَّرُورَةِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [أَرَأَيْتَ] غَفَرَ اللَّهُ لَهُ إِنْ كَانَ لِلزَّكَاةِ مُؤَدِّيًا".

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ.
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْعَادِيَاتِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1]

فِي قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ، بِالنُّونِ".
وَفِي حَدِيثِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وَانْطُوَا الثَّبَجَةَ".
وَالْكَوْثَرُ فَوَعْلٌ مِنَ الْكَثْرَةِ، وَهُوَ الْمُفْرِطُ الْكَثْرَةِ.
وَقِيلَ لِأَعْرَابِيَّةٍ رَجَعَ ابْنُهَا مِنَ السَّفَرِ: بِمَ آبَ ابْنُكِ؟ قَالَتْ: آبَ بِكَوْثَرٍ.
وَقَالَ:

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وَكَانَ أَبُوكَ ابْنُ الْعَقَائِلِ كَوْثَرَا

وَقِيلَ: "الْكَوْثَرُ" نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَّهُ قَرَأَهَا حِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ إِنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ وَعَدَنِيهِ رَبِّي، فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ".

[1] سورة ، الآية .

وَرُوِيَ فِي صِفَتِهِ: "أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، حَافَّتَاهُ الزَّبَرْجَدُ، وَأَوَانِيهِ مِنْ فِضَّةٍ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ".

وَرُوِيَ: "لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ أَبَدًا: أَوَّلُ وَارِدِيهِ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ: الدَّنِسُو الثِّيَابِ، الشُّعْثُ الرُّؤُوسِ، الَّذِينَ لَا يُزَوَّجُونَ الْمُنَعَّمَاتِ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدَدِ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ تَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَ الْكَوْثَرَ بِالْخَيْرِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ! فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ. وَالنَّحْرُ: نَحْرُ الْبُدْنِ.

وَعَنْ عَطِيَّةَ: هِيَ صَلَاةُ الْفَجْرِ بِجَمْعٍ، وَالنَّحْرُ بِمِنًى. وَقِيلَ: صَلَاةُ الْعِيدِ وَالتَّضْحِيَةُ.

وَقِيلَ: هِيَ جِنْسُ الصَّلَاةِ.

وَالنَّحْرُ: وَضْعُ الْيَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ، وَالْمَعْنَى: أُعْطِيتُ مَا لَا غَايَةَ لِكَثْرَتِهِ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ غَيْرَكَ، وَمُعْطِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَا إِلَهُ الْعَالَمِينَ، فَاجْتَمَعَتْ لَكَ الْغِبْطَتَانِ السَّنِيَّتَانِ: إِصَابَةُ أَشْرَفِ عَطَاءٍ، وَأَوْفَرِهِ، مِنْ أَكْرَمِ مُعْطٍ وَأَعْظَمِ مُنْعِمٍ، فَاعْبُدْ رَبَّكَ الَّذِي أَعَزَّكَ بِإِعْطَائِهِ، وَشَرَّفَكَ وَصَانَكَ مِنْ مِنَنِ الْخَلْقِ، مُرَاغِمًا لِقَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَانْحَرْ لِوَجْهِهِ وَبِاسْمِهِ إِذَا نَحَرْتَ، مُخَالِفًا لَهُمْ فِي النَّحْرِ لِلْأَوْثَانِ.

﴿إِنَّ﴾[1] مَنْ أَبْغَضَكَ مِنْ قَوْمِكَ لِمُخَالَفَتِكَ لَهُمْ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2] لَا أَنْتَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يُولَدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ أَوْلَادُكَ وَأَعْقَابُكَ؛ وَذِكْرُكَ مَرْفُوعٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْمَنَارِ، وَعَلَى لِسَانِ كُلِّ عَالِمٍ وَذَاكِرٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، يَبْدَأُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَيُثَنِّي بِذِكْرِكَ، وَلَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْوَصْفِ؛ فَمِثْلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ أَبْتَرُ: وَإِنَّمَا الْأَبْتَرُ هُوَ شَانِئُكَ الْمَنْسِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ ذُكِرَ ذُكِرَ بِاللَّعْنِ.

وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صُنْبُورٌ: إِذَا مَاتَ مَاتَ ذِكْرُهُ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَقَدْ سَمَّاهُ الْأَبْتَرَ، وَالْأَبْتَرُ: الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ. وَمِنْهُ الْحِمَارُ الْأَبْتَرُ الَّذِي لَا ذَنَبَ لَهُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَوْثَرِ سَقَاهُ اللَّهُ مَنْ كُلِّ نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَيَكْتُبُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ قُرْبَانٍ قَرَّبَهُ الْعِبَادُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ أَوْ يُقَرِّبُونَهُ".

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْمَاعُونِ]
وَيُقَالُ لَهَا وَلِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ: الْمُقَشْقِشَتَانِ،
أَيِ: الْمُبْرِئَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1]

الْمُخَاطَبُونَ كَفَرَةٌ مَخْصُوصُونَ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

رُوِيَ أَنَّ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَنَتَّبِعْ دِينَكَ: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَقَالَ: "مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ"، فَقَالُوا: فَاسْتَلِمْ بَعْضَ آلِهَتِنَا نُصَدِّقْكَ وَنَعْبُدْ إِلَهَكَ.

فَنَزَلَتْ، فَغَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِيهِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَامَ عَلَى رُؤُوسَهُمْ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ. فَأَيِسُوا.

---

[1] سورة ، الآية .

﴿لا أَعْبُدُ﴾[1] أُرِيدَتْ بِهِ الْعِبَادَةُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ، لِأَنَّ "لَا" لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ فِي مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ، كَمَا أَنَّ "مَا" لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى مُضَارِعٍ فِي مَعْنَى الْحَالِ.

أَلَا تَرَى أَنَّ "لَنْ" تَأْكِيدٌ فِيمَا تَنْفِيهِ "لَا"؟!

وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي "لَنْ": أَنَّ أَصْلَهُ "لَا أَنْ". وَالْمَعْنَى: لَا أَفْعَلُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنِّي مِنْ عِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ فِيهِ مَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهِي.

﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾[2]، أَيْ: وَمَا كُنْتُ قَطُّ عَابِدًا فِيمَا سَلَفَ مَا عَبَدْتُمْ فِيهِ، يَعْنِي: لَمْ تُعْهَدْ مِنِّي عِبَادَةُ صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ تُرَجَّى مِنِّي فِي الْإِسْلَامِ؟!

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[3]، أَيْ: وَمَا عَبَدْتُمْ فِي وَقْتٍ مَا أَنَا عَلَى عِبَادَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِيلَ: مَا عَبَدْتُ، كَمَا قِيلَ: مَا عَبَدْتُمْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْبُدُ اللَّهَ –تَعَالَى– فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ جَاءَ عَلَى "مَا" دُونَ "مِنْ"؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمُرَادَ الصِّفَةُ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَعْبُدُ الْبَاطِلَ، وَلَا تَعْبُدُونَ الْحَقَّ.

وَقِيلَ: إِنَّ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ، أَيْ: لَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، وَلَا تَعْبُدُونَ عِبَادَتِي.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[4]: لَكُمْ شِرْكُكُمْ، وَلِي تَوْحِيدِي. وَالْمَعْنَى: أَنِّي نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ إِلَيْكُمْ لِأَدْعُوَكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالنَّجَاةِ، فَإِذَا لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي وَلَمْ تَتْبَعُونِي، فَدَعُونِي كَفَافًا وَلَا تَدْعُونِي إِلَى الشِّرْكِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ [الْكَافِرُونَ]، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ رُبْعَ الْقُرْآنِ وَتَبَاعَدَتْ مِنْهُ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَبَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ وَيُعَافَى مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

سُورَةُ النَّصرِ

سُورَةُ النَّصْرِ

نَزَلَتْ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَتُعَدُّ مَدَنِيَّةً،
وَهِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ السُّوَرِ،
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ نَزَلَتْ بَعْدَ [التَّوْبَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[1]

﴿إِذَا جَاءَ﴾[2] مَنْصُوبٌ بِسَبِّحْ، وَهُوَ لِمَا يُسْتَقْبَلُ. وَالْإِعْلَامُ بِذَلِكَ قَبْلَ كَوْنِهِ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ النَّصْرِ وَالْفَتْحِ حَتَّى عُطِفَ عَلَيْهِ؟

قُلْتُ: النَّصْرُ الْإِغَاثَةُ وَالْإِظْهَارُ عَلَى الْعَدُوِّ. وَمِنْهُ: نَصَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ غَاثَهَا.

وَالْفَتْحُ: فَتْحُ الْبِلَادِ.

وَالْمَعْنَى: نَصْرُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْعَرَبِ أَوْ عَلَى قُرَيْشٍ وَفَتْحُ مَكَّةَ.

وَقِيلَ: جِنْسُ نَصْرِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفَتْحُ بِلَادِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَشَرَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَطَوَائِفِالْعَرَبِ، وَأَقَامَ بِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ ، وَحِينَ دَخَلَهَا وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا؛ أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْكَنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنْوَةً، وَكَانُوا لَهُ فَيْئًا، فَلِذَلِكَ سَمَّى أَهْلَ مَكَّةَ الطُّلَقَاءَ، ثُمَّ بَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾[1] فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا دِينَ لَهُ يُضَافُ إِلَيْهِ غَيْرُهَا؛ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]] آلِ عِمْرَانَ: 85]. "أَفْوَاجًا" جَمَاعَاتٍ كَثِيفَةً كَانَتْ تَدْخُلُ فِيهِ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا بَعْدَ مَا كَانُوا يَدْخُلُونَ فِيهِ وَاحِدًا وَاحِدًا وَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: أَنَّهُ بَكَى ذَاتَ يَوْمٍ، فَقِيلَ لَهُ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: "دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا". وَقِيلَ: أَرَادَ بِالنَّاسِ أَهْلَ الْيَمَنِ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ: قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ". وَقَالَ: "أَجِدُ نَفِيرَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ".

وَعَنِ الْحَسَنِ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَكَّةَ أَقْبَلَتِ الْعَرَبُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: أَمَّا إِذْ ظَفِرَ بِأَهْلِ الْحَرَمِ فَلَيْسَ بِهِ يَدَانِ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَجَارَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ وَعَنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَهُمْ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتْحُ اللَّهِ وَالنَّصْرُ. وَقُرِئَ: "يُدْخَلُونَ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ يَدْخُلُونَ؟

قُلْتُ: النَّصْبُ إِمَّا عَلَى الْحَالِ، عَلَى أَنَّ رَأَيْتَ بِمَعْنَى أَبْصَرْتَ أَوْ عَرَفْتَ. أَوْ هُوَ مَفْعُولٌ ثَانٍ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى عَلِمْتَ .

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[1]: فَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ: حَامِدًا لَهُ، أَيْ: فَتَعَجَّبْ لِتَيْسِيرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِكَ وَبَالِ أَحَدٍ مِنْ أَنْ يَغْلِبَ أَحَدٌ عَلَى أَهْلِ الْحَرَمِ، وَاحْمَدْهُ عَلَى صُنْعِهِ. أَوْ: فَاذْكُرْهُ مُسَبِّحًا حَامِدًا، زِيَادَةً فِي عِبَادَتِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، لِزِيَادَةِ إِنْعَامِهِ عَلَيْكَ. أَوْ فَصَلِّ لَهُ.

رَوَتْ أُمُّ هَانِئٍ: أَنَّهُ لَمَّا فُتِحَ بَابُ الْكَعْبَةِ صَلَّى صَلَاةَ الضُّحَى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ :كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُكْثِرُ قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ يَقُولَ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ"، وَالْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ مَعَ التَّسْبِيحِ تَكْمِيلٌ لِلْأَمْرِ بِمَا هُوَ قِوَامُ أَمْرِ الدِّينِ: مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالِاحْتِرَاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، لِيَكُونَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لُطْفًا لِأُمَّتِهِ، وَلِأَنَّ الِاسْتِغْفَارَ مِنَ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَهَضْمِ النَّفْسِ، فَهُوَ عِبَادَةٌ فِي نَفْسِهِ. وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةَ مِائَةَ مَرَّةٍ".

وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَصْحَابِهِ اسْتَبْشَرُوا وَبَكَى الْعَبَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا يُبْكِيكَ يَا عَمِّ"؟ قَالَ: نُعِيَتْ إِلَيْكَ نَفْسُكَ. قَالَ: "إِنَّهَا لَكَمَا تَقُولُ" فَعَاشَ بَعْدَهَا سَنَتَيْنِ لَمْ يُرَ فِيهِمَا ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا.

وَقِيلَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا كَثِيرًا".

وَرُوِيَ: أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لِقَائِهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ، فَعَلِمَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَقَالَ: فَدِينَاكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَآبَائِنَا وَأَوْلَادِنَا".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- كَانَ يُدْنِيهِ وَيَأْذَنُ لَهُ مَعَ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَأْذَنُ لِهَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَفِي آبَائِنَا مَنْ هُوَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَذِنَ لَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَأَذِنَ لِي مَعَهُمْ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ -تَعَالَى-: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾[2] وَلَا أُرَاهُ سَأَلَهُمْ إِلَّا مِنْ أَجْلِي، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

إِذَا فَتَحَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَهُ وَيَتُوبَ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مِثْلَ مَا تَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَلُومُونَنِي عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَرَوْنَ؟

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَّهُ دَعَا فَاطِمَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، فَقَالَ: "يَا بِنْتَاهُ، إِنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي"، فَبَكَتْ، فَقَالَ: "لَا تَبْكِي، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي".

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تُسَمَّى سُورَةَ التَّوْدِيعِ.

"كَانَ تَوَّابًا" أَيْ: كَانَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ مُنْذُ خَلَقَ الْمُكَلَّفِينَ تَوَّابًا عَلَيْهِمْ إِذَا اسْتَغْفَرُوا، فَعَلَى كُلِّ مُسْتَغْفِرٍ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِثْلَ ذَلِكَ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ شَهِدَ مَعَ مُحَمَّدٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ".

سُورَةُ الْمَسَدِ

سُورَةُ المَسَدِ

مَكِّيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ.
نَزَلَتْ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[1]

التَّبَابُ: الْهَلَاكُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَشَابَّةٌ أَمْ تَابَّةٌ، أَيْ: هَالِكَةٌ مِنَ الْهَرَمِ وَالتَّعْجِيزِ.

وَالْمَعْنَى: هَلَكَتْ يَدَاهُ، لِأَنَّهُ فِيمَا يُرْوَى: أَخَذَ حَجَرًا لِيَرْمِيَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿وَتَبَّ﴾[2] وَهَلَكَ كُلُّهُ. أَوْ جُعِلَتْ يَدَاهُ هَالِكَتَيْنِ.

وَالْمُرَادُ: هَلَاكُ جُمْلَتِهِ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[3]]الْحَجِّ: 10].

وَمَعْنَى: "وَتَبَّ": وَكَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ، كَقَوْلِهِ:

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَقَدْ تَبَّ".

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1]]الشُّعَرَاءِ: 214]. رَقَى الصَّفَا وَقَالَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَاسْتَجْمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ. فَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فِهْرٍ، إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ خَيْلًا أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَنَّاهُ، وَالتَّكْنِيَةُ تَكْرِمَةٌ؟

قُلْتُ: فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

– أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ مُشْتَهِرًا بِالْكُنْيَةِ دُونَ الِاسْمِ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ مَعْرُوفًا بِأَحَدِهِمَا، وَلِذَلِكَ تَجْرِي الْكُنْيَةُ عَلَى الِاسْمِ، أَوِ الِاسْمُ عَلَى الْكُنْيَةِ عَطْفَ بَيَانٍ.

فَلَمَّا أُرِيدَ تَشْهِيرُهُ بِدَعْوَةِ السُّوءِ، وَأَنْ تَبْقَى سِمَةً لَهُ، ذُكِرَ الْأَشْهَرُ مِنْ عَلَمَيْهِ.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: "يَدًا أَبُو لَهَبٍ"، كَمَا قِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبُو طَالِبٍ .وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبُو سُفْيَانَ، لِئَلَّا يُغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُشْكِلَ عَلَى السَّامِعِ، وَلِفُلَيْتَةَ بْنِ قَاسِمٍ أَمِيرِ مَكَّةَ ابْنَانِ: أَحَدُهُمَا: عَبْدُ اللَّهِ بِالْجَرِّ، وَالْآخَرُ عَبْدُ اللَّهَ بِالنَّصْبِ. كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: عَبْدِ اللَّهِ بِجَرَّةِ الدَّالِ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا هَكَذَا.

– وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْعُزَّى، فَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى كُنْيَتِهِ.

– وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَمَآلُهُ إِلَى نَارٍ ذَاتِ لَهَبٍ، وَافَقَتْ حَالُهُ كُنْيَتَهُ، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُذْكَرَ بِهَا. وَيُقَالُ: أَبُو لَهَبٍ، كَمَا يُقَالُ: أَبُو الشَّرِّ لِلشِّرِّيرِ. وَأَبُو الْخَيْرِ لِلْخَيِّرِ، وَكَمَا كَنَّى رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَبَا الْمُهَلَّبِ: أَبَا صُفْرَةَ، بِصُفْرَةٍ فِي وَجْهِهِ.

وَقِيلَ: كُنِّيَ بِذَلِكَ لِتَلَهُّبِ وَجْنَتَيْهِ وَإِشْرَاقِهِمَا، فَيَجُوزُ أَنْ يُذْكَرَ بِذَلِكَ تَهَكُّمًا بِهِ، وَبِافْتِخَارِهِ بِذَلِكَ.

وَقُرِئَ: أَبِي لَهْبٍ بِالسُّكُونِ. وَهُوَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَعْلَامِ، كَقَوْلِهِمْ: شُمْسُ بْنُ مَالِكٍ بِالضَّمِّ.

﴿مَا أَغْنَى﴾[2]: اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى الْإِنْكَارِ، وَمَحَلُّهُ النَّصْبُ أَوْ نَفْيٌ.

﴿ وَمَا كَسَبَ﴾[3] مَرْفُوعٌ. وَمَا مَوْصُولَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ بِمَعْنَى: وَمَكْسُوبُهُ. أَوْ: وَكَسْبُهُ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَالْمَعْنَى: لَمْ يَنْفَعْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ بِمَالِهِ، يَعْنِي: رَأْسَ الْمَالِ وَالْأَرْبَاحَ. أَوْ مَاشِيَتَهُ وَمَا كَسَبَ مِنْ نَسْلِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَكَانَ ذَا سَابْيَاءَ. أَوْ مَالُهُ الَّذِي وَرِثَهُ مِنْ أَبِيهِ وَالَّذِي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ. أَوْ مَالُهُ التَّالِدُ وَالطَّارِفُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا كَسَبَ وَلَدُهُ. وَحُكِيَ أَنَّ بَنِي أَبِي لَهَبٍ احْتَكَمُوا إِلَيْهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَقَامَ يَحْجِزُ بَيْنَهُمْ، فَدَفَعَهُ بَعْضُهُمْ فَوَقَعَ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَخْرِجُوا عَنِّي الْكَسْبَ الْخَبِيثَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "إِنَّ أَطْيَبَ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ".

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: مَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ وَعَمَلُهُ الْخَبِيثُ، يَعْنِي كَيْدَهُ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَعَنْ قَتَادَةَ: عَمَلُهُ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾[1]]الْفُرْقَانِ: 233].

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا فَأَنَا أَفْتَدِي مِنْهُ نَفْسِي بِمَالِي وَوَلَدِي .

﴿سَيَصْلَى﴾[2] قُرِئَ: بِفَتْحِ الْيَاءِ وَبِضَمِّهَا مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا، وَالسِّينُ لِلْوَعِيدِ، أَيْ: هُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ تَرَاخَى وَقْتُهُ.

﴿وَامْرَأَتُهُ﴾[3] هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةً مِنَ الشَّوْكِ وَالْحَسَكِ وَالسَّعْدَانِ، فَتَنْثُرُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقِيلَ: كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ. وَيُقَالُ: لِلْمَشَّاءِ بِالنَّمَائِمِ الْمُفْسِدِ بَيْنَ النَّاسِ: يَحْمِلُ الْحَطَبَ بَيْنَهُمْ، أَيْ: يُوقِدُ بَيْنَهُمُ النَّائِرَةَ وَيُورِثُ الشَّرَّ.

قَالَ:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَـــــةٍ وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

جَعَلَهُ رَطْبًا لِيَدُلَّ عَلَى التَّدْخِينِ الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي الشَّرِّ، وَرُفِعَتْ عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي ﴿سَيَصْلَى﴾[1]، أَيْ: سَيَصْلَى هُوَ وَامْرَأَتُهُ.

وَ "فِي جِيدِهَا" فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَوْ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَفِي جِيدِهَا: الْخَبَرُ.

وَقُرِئَ: حَمَّالَةَ الْحَطَبِ بِالنَّصْبِ عَلَى الشَّتْمِ، وَأَنَا أَسْتَحِبُّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ، وَقَدْ تَوَسَّلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِجَمِيلٍ: مَنْ أَحَبَّ شَتْمَ أُمِّ جَمِيلٍ.

وَقُرِئَ: حَمَّالَةَ الْحَطَبِ وَحَمَّالَةً لِلْحَطَبِ: بِالتَّنْوِينِ، وَالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ.

وَقُرِئَ: وَمُرَيَّتُهُ بِالتَّصْغِيرِ.

الْمَسَدُ: الَّذِي فُتِلَ مِنَ الْحِبَالِ فَتْلًا شَدِيدًا، مِنْ لِيفٍ كَانَ أَوْ جِلْدٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا.

قَالَ:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِـــــــقِ

وَرَجُلٌ مَمْسُودُ الْخَلْقِ مَجْدُولُهُ.

وَالْمَعْنَى: فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِمَّا مُسِّدَ مِنَ الْحِبَالِ، وَأَنَّهَا تَحْمِلُ تِلْكَ الْحُزْمَةَ مِنَ الشَّوْكِ وَتَرْبُطُهَا فِي جِيدِهَا كَمَا يَفْعَلُ الْحَطَّابُونَ: تَخْسِيسًا لِحَالِهَا، وَتَحْقِيرًا لَهَا، وَتَصْوِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْحَطَّابَاتِ مِنَ الْمَوَاهِنِ، لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا، وَهُمَا فِي بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ. وَفِي مَنْصِبِ الثَّرْوَةِ وَالْجِدَّةِ.

وَلَقَدْ عَيَّرَ بَعْضُ النَّاسِ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ بِحَمَّالَةِ الْحَطَبِ، فَقَالَ:

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي ... أَمْ مَا تُغَيَّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَـــبِ؟

غَرَّاءَ شَادِخَةٍ فِي الْمَجْدِ غُرَّتُهَـــا ... كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَـــبِ

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّ حَالَهَا تَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حِينَ كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةَ الشَّوْكِ، فَلَا تَزَالُ عَلَى ظَهْرِهَا حُزْمَةٌ مِنْ حَطَبِ النَّارِ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ أَوْ مِنَ الضَّرِيعِ وَفِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَا مُسِّدَ مِنْ سَلَاسِلِ النَّارِ، كَمَا يُعَذَّبُ كُلُّ مُجْرِمٍ بِمَا يُجَانِسُ حَالَهُ فِي جُرْمِهِ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ تَبَّتْ رَجَوْتُ أَنْ لَا يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي لَهَبٍ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ".

---

[1] سورة ، الآية .

سُورَةُ الْإِنْعَامِ

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [النَّاسِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1]

﴿هُوَ﴾[2] ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] هُوَ الشَّأْنُ، كَقَوْلِكَ: هُوَ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: الشَّأْنُ هَذَا، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا ثَانِيَ لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ هُوَ؟

قُلْتُ: الرَّفْعُ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ الْجُمْلَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَالْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ خَبَرًا لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ رَاجِعٍ إِلَى الْمُبْتَدَإِ، فَأَيْنَ الرَّاجِعُ؟

قُلْتُ: حُكْمُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ حُكْمُ الْمُفْرَدِ فِي قَوْلِكَ: "زَيْدٌ غُلَامُكَ" فِي أَنَّهُ هُوَ الْمُبْتَدَأُ فِي الْمَعْنَى. وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾[4] هُوَ الشَّأْنُ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .

"زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ"، فَإِنَّ زَيْدًا وَالْجُمْلَةَ يَدُلَّانِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَلَا بُدَّ مِمَّا يَصِلُ بَيْنَهُمَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدُ ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ. يَعْنِي: الَّذِي سَأَلْتُمُونِي وَصْفَهُ هُوَ اللَّهُ، أَحَدٌ: بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ، ﴿اللَّهُ﴾[1]. أَوْ عَلَى: هُوَ أَحَدٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَأَصْلُهُ وَحَدَ.

وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ وَأُبَيٌّ: "هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" بِغَيْرِ "قُلْ".

وَفِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُ أَحَدٌ" بِغَيْرِ "قُلْ هُوَ" وَقَالَ مَنْ قَرَأَ: اللَّهُ أَحَدٌ، كَانَ بِعَدْلِ الْقُرْآنِ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ".

وَقُرِئَ: "أَحَدُ اللَّهُ" بِغَيْرِ تَنْوِينٍ، أُسْقِطَ لِمُلَاقَاتِهِ لَامَ التَّعْرِيفِ.

وَنَحْوَهُ:

.....وَلَا ذَاكِرَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا

وَالْجَيِّدُ هُوَ التَّنْوِينُ، وَكَسْرُهُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.

وَ﴿الصَّمَدُ﴾[2]: فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، مِنْ صَمَدَ إِلَيْهِ إِذَا قَصَدَهُ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ. وَالْمَعْنَى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَتُقِرُّونَ بِأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَالِقُكُمْ، وَهُوَ وَاحِدٌ مُتَوَحِّدٌ بِالْإِلَهِيَّةِ لَا يُشَارِكُ فِيهَا، وَهُوَ الَّذِي يَصْمُدُ إِلَيْهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾[3]، لِأَنَّهُ لَا يُجَانِسُ، حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْ جِنْسِهِ صَاحِبَةٌ فَيَتَوَالَدَا.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[4]]الْأَنْعَامِ: 101 .[

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[1]، لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ مُحْدَثٌ وَجِسْمٌ، وَهُوَ قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ وَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَمْ يُكَافِئْهُ أَحَدٌ، أَيْ: لَمْ يُمَاثِلْهُ وَلَمْ يُشَاكِلْهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَفَاءَةِ فِي النِّكَاحِ، نَفْيًا لِلصَّاحِبَةِ: سَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَهُ لَهُمْ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا يُحْتَوَى عَلَى صِفَاتِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾[2] إِشَارَةٌ لَهُمْ إِلَى مَنْ هُوَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَفَاطِرُهَا، وَفِي طَيِّ ذَلِكَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ قَادِرٌ عَالِمٌ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يَسْتَدْعِي الْقُدْرَةَ وَالْعِلْمَ، لِكَوْنِهِ وَاقِعًا عَلَى غَايَةِ إِحْكَامٍ وَاتِّسَاقٍ وَانْتِظَامٍ.

وَفِي ذَلِكَ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَدٌ﴾[3]: وَصْفٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ الشُّرَكَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الصَّمَدُ﴾[4]: وَصْفٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مُحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُحْتَاجًا إِلَيْهِ: فَهُوَ غَنِيٌّ.

وَفِي كَوْنِهِ غَنِيًّا مَعَ كَوْنِهِ عَالِمًا: أَنَّهُ عَدْلٌ غَيْرُ فَاعِلٍ لِلْقَبَائِحِ، لِعِلْمِهِ بِقُبْحِ الْقَبِيحِ وَعِلْمِهِ بِغِنَاهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾[5]: وَصْفٌ بِالْقِدَمِ وَالْأَوَّلِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾[6] نَفْيٌ لِلشَّبَهِ وَالْمُجَانَسَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[7]: تَقْرِيرٌ لِذَلِكَ وَبَتٌّ لِلْحُكْمِ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ الْفَصِيحُ أَنْ يُؤَخَّرَ الظَّرْفُ الَّذِي هُوَ لَغْوٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ وَلَا يُقَدَّمُ، وَقَدْ نَصَّ سِيبَوَيْهِ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَمَا بَالُهُ مُقَدَّمًا فِي أَفْصَحِ كَلَامٍ وَأَعْرَبِهِ؟

قُلْتُ: هَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا سِيقَ لِنَفْيِ الْمُكَافَأَةِ عَنْ ذَاتِ الْبَارِي –سُبْحَانَهُ–.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

وَهَذَا الْمَعْنَى مَصَبُّهُ وَمَرْكَزُهُ هُوَ هَذَا الظَّرْفُ، فَكَانَ لِذَلِكَ أَهَمَّ شَيْءٍ وَأَعْنَاهُ، وَأَحَقَّهُ بِالتَّقَدُّمِ وَأَجْرَاهُ.

وَقُرِئَ: "كُفُؤًا" بِضَمِّ الْكَافِ وَالْفَاءِ. وَبِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِهَا مَعَ سُكُونِ الْفَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عِدْلَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ عَلَى قِصَرٍ مِنْهَا وَتَقَارُبِ طَرَفَيْهَا؟

قُلْتُ: لِأَمْرٍ مَا يَسُودُ مَنْ يَسُودُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِاحْتِوَائِهَا عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ –تَعَالَى– وَعَدْلِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَكَفَى دَلِيلًا مِنَ اعْتِرَافٍ بِفَضْلِهَا وَصِدْقٍ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيهَا: إِنَّ عِلْمَ التَّوْحِيدِ مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– بِمَكَانٍ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَالْعِلْمُ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ: يَشْرُفُ بِشَرَفِهِ، وَيَتَّضِعُ بِضِعَتِهِ، وَمَعْلُومٌ هَذَا الْعِلْمُ هُوَ اللَّهُ –تَعَالَى– وَصِفَاتُهُ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ، فَمَا ظَنُّكَ بِشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ وَجَلَالَةِ مَحَلِّهِ، وَإِنَافَتِهِ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ، وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى قَصَبِ السَّبْقِ دُونَهُ، وَمَنِ ازْدَرَاهُ فَلِضَعْفِ عِلْمِهِ بِمَعْلُومِهِ، وَقِلَّةِ تَعْظِيمِهِ لَهُ، وَخُلُوِّهِ مِنْ خَشْيَتِهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ النَّظَرِ لِعَاقِبَتِهِ؟!

اللَّهُمَّ احْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْعَالِمِينَ بِكَ الْعَامِلِينَ لَكَ، الْقَائِلِينَ بِعَدْلِكَ وَتَوْحِيدِكَ، الْخَائِفِينَ مِنْ وَعِيدِكَ.

وَتُسَمَّى سُورَةَ الْأَسَاسِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أُصُولِ الدِّينِ.

وَرَوَى أُبَيٌّ وَأَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أُسِّسَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ عَلَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"، يَعْنِي مَا خُلِقَتْ إِلَّا لِتَكُونَ دَلَائِلَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَقَالَ: "وَجَبَتْ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: "وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ".

سُورَةُ [الْفَلَقِ]

سُورَةُ [الْفَلَقِ]

مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْفِيلِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1]

الْفَلَقُ وَالْفَرَقُ: الصُّبْحُ، لِأَنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عَنْهُ وَيُفْرَقُ: فِعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ.

يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَطَعَ الْفُرْقَانُ، إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ.

وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا يَفْلِقُهُ اللَّهُ، كَالْأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ، وَالْجِبَالِ عَنِ الْعُيُونِ، وَالسَّحَابِ عَنِ الْمَطَرِ، وَالْأَرْحَامِ عَنِ الْأَوْلَادِ، وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ أَوْ جُبٌّ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِمْ لِمَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ: الْفَلَقُ، وَالْجَمْعُ: فِلْقَانٌ.

وَعَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَدِمَ الشَّامَ فَرَأَى دُورَ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ خَفْضِ الْعَيْشِ وَمَا وُسِّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَقَالَ: لَا أُبَالِي، أَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهِمُ الْفَلَقُ؟ فَقِيلَ: وَمَا الْفَلَقُ؟ قَالَ: بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ .

---

[1] سورة ، الآية .

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[1]: مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ.

وَشَرُّهُمْ: مَا يَفْعَلُهُ الْمُكَلَّفُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمَآثِمِ، وَمَضَارَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا مِنْ ظُلْمٍ وَبَغْيٍ وَقَتْلٍ وَضَرْبٍ وَشَتْمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا يَفْعَلُهُ غَيْرُ الْمُكَلَّفِينَ مِنْهُ مِنَ الْأَكْلِ وَالنَّهْسِ وَاللَّذْعِ وَالْعَضِّ كَالسِّبَاعِ وَالْحَشَرَاتِ، وَمَا وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْمَوَاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرَرِ كَالْإِحْرَاقِ فِي النَّارِ وَالْقَتْلِ فِي السُّمِّ .

وَالْغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا اعْتَكَرَ ظَلَامُهُ مِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[2]]الْإِسْرَاءِ: 78].

وَمِنْهُ: غَسَقَتِ الْعَيْنُ امْتَلَأَتْ دَمْعًا، وَغَسَقَتِ الْجِرَاحَةُ: امْتَلَأَتْ دَمًا.

وَوُقُوبُهُ: دُخُولُ ظَلَامِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيُقَالُ: وَقَبَتِ الشَّمْسُ إِذَا غَابَتْ.

وَفِي الْحَدِيثِ :لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ قَدْ وَقَبَتْ قَالَ: هَذَا حِينُ حِلِّهَا، يَعْنِي صَلَاةَ الْمَغْرِبِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْقَمَرُ إِذَا امْتَلَأَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِيَدِي، فَأَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالَ: "تَعَوَّذِي مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ".

وَوُقُوبُهُ: دُخُولُهُ فِي الْكُسُوفِ وَاسْوِدَادُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْغَاسِقِ: الْأَسْوَدُ مِنَ الْحَيَّاتِ.

وَوَقْبُهُ: ضَرْبُهُ وَنَقْبُهُ.

وَالْوَقْبُ: النَّقْبُ.

وَمِنْهُ: وَقْبَةُ الثَّرِيدِ، وَالتَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ، لِأَنَّ انْبِثَاثَهُ فِيهِ أَكْثَرُ، وَالتَّحَرُّزُ مِنْهُ أَصْعَبُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ. وَقَوْلُهُمْ: أَغْدَرَ اللَّيْلُ، لِأَنَّهُ إِذَا أَظْلَمَ كَثُرَ فِيهِ الْغَدْرُ، وَأُسْنِدَ الشَّرُّ إِلَيْهِ لِمُلَابَسَتِهِ لَهُ مِنْ حُدُوثِهِ فِيهِ.

﴿النَّفَّاثَاتِ﴾[3]: النِّسَاءِ، أَوِ النُّفُوسِ، أَوِ الْجَمَاعَاتِ السَّوَاحِرِ اللَّاتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا فِي خُيُوطٍ وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا وَيَرْقِينَ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَالنَّفْثُ: النَّفْخُ مِنْ رِيقٍ، وَلَا تَأْثِيرَ لِذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ ثَمَّ إِطْعَامُ شَيْءٍ ضَارٍّ، أَوْ سَقْيُهُ، أَوْ إِشْمَامُهُ. أَوْ مُبَاشَرَةُ الْمَسْحُورِ بِهِ عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– قَدْ يَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ فِعْلًا عَلَى سَبِيلِ الِامْتِحَانِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ الثَّبْتُ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الْحَشْوِيَّةِ وَالْجَهَلَةِ مِنَ الْعَوَامِّ، فَيَنْسُبُهُ الْحَشْوِيَّةُ وَالرَّعَاعُ إِلَيْهِنَّ وَإِلَى نَفْثِهِنَّ، وَالثَّابِتُونَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْبَئُونَ بِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِنَّ؟

قُلْتُ: فِيهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

– أَحَدُهَا: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ عَمَلِهِنَّ الَّذِي هُوَ صَنْعَةُ السِّحْرِ وَمِنْ إِثْمِهِنَّ فِي ذَلِكَ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بِسِحْرِهِنَّ وَمَا يَخْدَعْنَهُمْ بِهِ مِنْ بَاطِلِهِنَّ.

– وَالثَّالِثُ: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ عِنْدَ نَفْثِهِنَّ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِنَّ النِّسَاءُ الْكَيَّادَاتُ، مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1]]يُوسُفَ: 288]. تَشْبِيهًا لِكَيْدِهِنَّ بِالسِّحْرِ وَالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ. أَوِ اللَّاتِي يَفْتِنَّ الرِّجَالَ بِتَعَرُّضِهِنَّ لَهُمْ وَمَحَاسِنِهِنَّ، كَأَنَّهُنَّ يَسْحَرْنَهُمْ بِذَلِكَ .

﴿إِذَا حَسَدَ﴾[2]: إِذَا ظَهَرَ حَسَدُهُ، وَعُمِلَ بِمُقْتَضَاهُ: مِنْ بَغْيِ الْغَوَائِلِ لِلْمَحْسُودِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ مَا أَضْمَرَهُ، فَلَا ضَرَرَ يَعُودُ مِنْهُ عَلَى مَنْ حَسَدَهُ، بَلْ هُوَ الضَّارُّ لِنَفْسِهِ لِاغْتِمَامِهِ بِسُرُورِ غَيْرِهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنْ حَاسِدٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِشَرِّ الْحَاسِدِ: إِثْمُهُ وَسَمَاجَةُ حَالِهِ فِي وَقْتِ حَسَدِهِ، وَإِظْهَارِهِ أَثَرَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[3] تَعْمِيمٌ فِي كُلِّ مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ، فَمَا مَعْنَى الِاسْتِعَاذَةِ بَعْدَهُ مِنَ الْغَاسِقِ وَالنَّفَّاثَاتِ وَالْحَاسِدِ؟

قُلْتُ: قَدْ خَصَّ شَرَّ هَؤُلَاءِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ لِخَفَاءِ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، كَأَنَّمَا يُغْتَالُ بِهِ. وَقَالُوا: الْمُدَاجِي الَّذِي يَكِيدُكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ عَرَّفَ بَعْضَ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ وَنَكَّرَ بَعْضَهُ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

قُلْتُ: عُرِّفَتِ النَّفَّاثَاتُ، لِأَنَّ كُلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرَةٌ، وَنُكِّرَ غَاسِقٌ، لِأَنَّ كُلَّ غَاسِقٍ لَا يَكُونُ فِيهِ الشَّرُّ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونِ بَعْضٍ، وَكَذَلِكَ كُلُّ حَاسِدٍ لَا يَضُرُّ . وَرَبُّ حَسَدٍ مَحْمُودٍ، وَهُوَ الْحَسَدُ فِي الْخَيْرَاتِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ".

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

.....وَمَا حَاسِدِي فِي الْمَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

وَقَالَ:

..... إِنَّ الْعُلَا حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَـــــدُ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهَا".

سُورَةُ النَّاسِ

]سورة الناس[

50 مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ،
وَآيَاتُهَا 6
نَزَلَتْ بَعْدَ [الْفَلَقِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[1]

قُرِئَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾[2] بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللَّامِ، وَنَحْوَهُ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً﴾[3]]الْبَقَرَةِ: 260].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾[4] مُضَافًا إِلَيْهِمْ خَاصَّةً؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الْمُوَسْوِسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمُ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ، وَهُوَ إِلَهُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ، كَمَا يَسْتَغِيثُ بَعْضُ الْمُوَالِي إِذَا اعْتَرَاهُمْ خَطْبٌ بِسَيِّدِهِمْ وَمَخْدُومِهِمْ وَوَالِي أَمْرِهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[1] مَا هُمَا مِنْ رَبِّ النَّاسِ؟

قُلْتُ: هُمَا عَطْفُ بَيَانٍ، كَقَوْلِكَ: سِيرَةُ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ الْفَارُوقِ. بُيِّنَ بِمَلِكِ النَّاسِ، ثُمَّ زِيدَ بَيَانًا بِإِلَهِ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ لِغَيْرِهِ: رَبُّ النَّاسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2]]التَّوْبَة: 31]. وَقَدْ يُقَالُ: مَلِكُ النَّاسِ.

وَأَمَّا ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾[3]، فَخَاصٌّ لَا شَرِكَةَ فِيهِ، فَجُعِلَ غَايَةً لِلْبَيَانِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا اكْتَفَى بِإِظْهَارِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ النَّاسُ مَرَّةً وَاحِدَةً؟

قُلْتُ: لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ لِلْبَيَانِ، فَكَانَ مَظِنَّةً لِلْإِظْهَارِ دُونَ الْإِضْمَارِ.

﴿الْوَسْوَاسِ﴾[4]: اسْمٌ بِمَعْنَى الْوَسْوَسَةِ، كَالزِّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ.

وَأَمَّا الْمَصْدَرُ فَوِسْوَاسٌ بِالْكَسْرِ كَزِلْزَالٍ.

الْمُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ، سُمِّيَ بِالْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ وَسْوَسَةٌ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهَا صَنْعَتُهُ وَشُغْلُهُ الَّذِي هُوَ عَاكِفٌ عَلَيْهِ. أَوْ أُرِيدَ ذُو الْوَسْوَاسِ.

وَالْوَسْوَسَةُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

وَمِنْهُ: وَسْوَاسُ الْحُلِيِّ.

وَ﴿الْخَنَّاسِ﴾[5] الَّذِي عَادَتُهُ أَنْ يَخْنِسَ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْخُنُوسِ، وَهُوَ التَّأَخُّرُ كَالْعَوَّاجِ وَالْبَتَّاتِ، لِمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: إِذَا ذَكَرَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ خَنِسَ الشَّيْطَانُ وَوَلَّى، فَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ إِلَيْهِ .

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾[6] يَجُوزُ فِي مَحَلِّهِ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ، فَالْجَرُّ عَلَى الصِّفَةِ، وَالرَّفْعُ وَالنَّصْبُ عَلَى الشَّتْمِ، وَيَحْسُنُ أَنْ يَقِفَ الْقَارِئُ عَلَى ﴿الْخَنَّاسِ﴾[7] وَيَبْتَدِئَ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾[8] عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[9]: بَيَانٌ لِلَّذِي يُوَسْوِسُ، عَلَى أَنَّ

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة ، الآية .

الشَّيْطَانَ ضَرْبَانِ: جَنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، كَمَا قَالَ: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾]الْأَنْعَام: 112].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ الْإِنْسِ؟

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿مِنْ﴾[1] مُتَعَلِّقًا بِ ﴿يُوَسْوِسُ﴾[2]، وَمَعْنَاهُ: ابْتِدَاءُ الْغَايَةِ، أَيْ: يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ جِهَةِ الْجِنِّ وَمِنْ جِهَةِ النَّاسِ.

وَقِيلَ: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ بَيَانٌ لِلنَّاسِ، وَأَنَّ اسْمَ النَّاسِ يَنْطَلِقُ عَلَى الْجِنَّةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِـ (نَفَرٌ) وَ (رِجَالٌ): فِي سُورَةِ الْجِنِّ. وَمَا أَحَقَّهُ، لِأَنَّ الْجِنَّ سُمُّوا "جِنًّا" لِاجْتِنَانِهِمْ، وَالنَّاسَ "نَاسًا" لِظُهُورِهِمْ، مِنَ الْإِينَاسِ وَهُوَ الْإِبْصَارُ، كَمَا سُمُّوا بَشَرًا، وَلَوْ كَانَ يَقَعُ عَلَى النَّاسِ عَلَى الْقَبِيلَيْنِ؛ وَصَحَّ ذَلِكَ وَثَبَتَ: لَمْ يَكُنْ مُنَاسِبًا لِفَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَبُعْدِهِ مِنَ التَّصَنُّعِ.

وَأَجْوَدُ مِنْهُ أَنْ يُرَادَ بِالنَّاسِ: النَّاسِي، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[3]]الْقَمَر: 6]. كَمَا قُرِئَ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[4]]الْبَقَرَة: 1999]. ثُمَّ يُبَيَّنُ بِالْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، لِأَنَّ الثَّقَلَيْنِ هُمَا النَّوْعَانِ الْمَوْصُوفَانِ بِنِسْيَانِ حَقِّ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أُنْزِلَ مِثْلَهُمَا، وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا، يَعْنِي: الْمُعَوِّذَتَيْنِ. وَيُقَالُ لِلْمُعَوِّذَتَيْنِ: الْمُقَشْقِشَتَانِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ: وَأَنَا أَعُوذُ بِهِمَا وَبِجَمِيعِ كَلِمَاتِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ التَّامَّةِ، وَأَلُوذُ بِكَنَفِ رَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ الْعَامَّةِ مِنْ كُلِّ مَا يَكْلَمُ الدِّينَ وَيَثْلِمُ الْيَقِينَ، أَوْ يَعُودُ فِي الْعَاقِبَةِ بِالنَّدَمِ، أَوْ يَقْدَحُ فِي الْإِيمَانِ الْمُسَوِّطِ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَأَسْأَلُهُ بِخُضُوعِ الْعُنُقِ وَخُشُوعِ الْبَصَرِ، وَوَضْعِ الْخَدِّ لِجَلَالِهِ الْأَعْظَمِ الْأَكْبَرِ، مُسْتَشْفِعًا إِلَيْهِ بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ الشَّيْبَةُ فِي الْإِسْلَامِ، مُتَوَسِّلًا بِالتَّوْبَةِ الْمُمَحِّصَةِ لِلْآثَامِ، وَبِمَا عُنِيتُ بِهِ مِنْ مُهَاجَرَتِي إِلَيْهِ وَمُجَاوَرَتِي وَمُرَابَطَتِي بِمَكَّةَ وَمُصَابَرَتِي عَلَى تَوَاكُلٍ مِنَ الْقُوَى، وَتَخَاذُلٍ مِنَ الْخَطَإِ؛ ثُمَّ أَسْأَلُهُ بِحَقِّ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ وَقُرْآنِهِ الْمَجِيدِ الْكَرِيمِ وَبِمَا لَقِيتُ مِنْ كَدْحِ الْيَمِينِ وَعَرَقِ الْجَبِينِ فِي عَمَلِ

---

[9] سورة ، الآية .

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

الْكَشَّافِ عَنْ حَقَائِقِهِ الْمُخَلِّصِ عَنْ مَضَايِقِهِ الْمُطَّلِعِ عَلَى غَوَامِضِهِ الْمُثْبِتِ فِي مَدَاحِضِهِ الْمُلَخِّصِ لِنُكَتِهِ وَلَطَائِفِ نَظْمِهِ الْمُنَقِّرِ عَنْ نُقَرِهِ وَجَوَاهِرِ عِلْمِهِ الْمُكْتَنِزِ بِالْفَوَائِدِ الْمُفْتِنَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ إِلَّا فِيهِ، الْمُحِيطِ بِمَا لَا يُكْتَنَهُ مِنْ بِدَعِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ مَعَ الْإِيجَازِ الْحَاذِفِ لِلْفُضُولِ وَتَجَنُّبِ الْمُسْتَكْرَهِ الْمَمْلُولِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَضْمُونِهِ إِلَّا إِيرَادُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى قَانُونِهِ لَكَفَى بِهِ ضَالَّةً يَنْشُدُهَا مُحَقِّقَةُ الْأَخْبَارِ، وَجَوْهَرُهُ يَتَمَنَّى الْعُثُورَ عَلَيْهَا غَاصَّةُ الْبِحَارِ وَبِمَا شَرَّفَنِي بِهِ وَمَجَّدَنِي وَاخْتَصَّنِي بِكَرَامَتِهِ وَتَوَحَّدَنِي مِنَ ارْتِفَاعٍ عَلَى يَدَيَّ فِي مَهْبِطِ بِشَارَاتِهِ وَنُذُرِهِ وَمُتَنَزَّلِ آيَاتِهِ وَسُوَرِهِ مِنَ الْبَلَدِ الْأَمِينِ بَيْنَ ظَهَرَانَيِ الْحَرَمِ وَبَيْنَ يَدَيِ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ حَتَّى وَقَعَ التَّأْوِيلُ حَيْثُ وُجِدَ التَّنْزِيلُ: أَنْ يَهَبَ لِي خَاتِمَةَ الْخَيْرِ وَيَقِيَنِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ فُرُطَاتِي يَوْمَ التَّنَادِ، وَلَا يَفْضَحْنِي بِهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَيُحِلَّنِي دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ بِوَاسِعِ طَوْلِهِ وَسَابِغِ نَوْلِهِ، إِنَّهُ هُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ.

مَسّ وَا ـِ ا سّاب

مَسْوَا ـِ ٩ ـْاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء العشرون 19 – 52

محتويات الكتاب 61 – 64

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع